شغفٌ لآخر رمق

الإهداء

إلى الأرواحِ التي فقدتها وجميع أحبائي مرضى السرطان، كم أدعو الله لكم بالشفاء..

إلى وطني الحبيب سوريا ..

إلى أصدقائي الحقيقيين منهم فقط..

إلى كل من خذلني لأنه علمني الصلابة..

إلى الأمنيات التي لم تتحقق بعد..

و إلى قلوب العاشقين و السلام الذي أتمناه للجميع..

فِي ظِلِّ تَصفِيق حارٍّ جَائِزة الفنَّانة الشَّاملة تَذهَب إلى الفنَّانة المحْبوبة :شغف

صَعدَت المسْرح بِأناقتهَا الفريدة، نَظَرَتْ بِفَخرٍ وابتسمتْ فقد فاض قلبها سعادةً بِبريق النُّجوميَّة اَلتِي اِنْتظرْتهَا طويلاً، هي الحَالِمة، المُحَاربَة بِشراسة التي خبَّأت اَلكثِير مِن الخيْبات خَلْف رِدَاء اَلقُوة، تُعَانِق رُوحَهَا السَّمَاء عِنْد كُلِّ نَجَاح، اِنحنَت بِتواضعٍ لِتشْكر الجمْهور اَلكبِير، وقالتْ" :الحمْد لِلَّه على اَلوُصول بَعْد اَلعُبور الشَّاقِّ، قَلبِي يمتلئ سَعادَة وَحُباً بِفضْلِكم، مِن أَعمَاق قَلبِي اِمْتناني وَشكرِي لَكم".

اِنتهَى الحفْل فخرجتْ، وَفِي دَاخلِها صِرَاعٌ يَتقِد مِن جديد وَرغْبَة فِي الابْتعاد عن الأضْواء والضَّوْضاء، ذَهبَت بِمفْردهَا فِي جَولَة لَيلِيةٍ طَوِيلَةٍ، رافقَهَا تَشتُّت
أفْكارهَا بِأحْدَاث مَاضِية، كَيْف لَهَا أن تَنسَى مَا حلَّ بِهَا، كَيْف لِلْماضِي اَلمُفعم بِتفاصيلهَا أن يَترُكها وَشأنِها، وَكَأنهَا قد اِعْتادتْ على المعاناة فعنْد كُلِّ عُبُور لِمحطَّة جَدِيدَة تَعُود ذاكرتهَا لِلْأنِين مُجَدداً.

لم يكن لأحد أن يعلم عنها شيئاً سوى أنها فَتَاة دِمشْقِيَّة رَقِيقَة، مهذبةٌ، وُلدَت لِعائِلة مُتَوسطَة اَلْحال، تعيشُ فِي قَالَب رُوتينيّ مُتَمسك بِعاداتهِ البالية، فِي بِيئة جَافَّة لَا تَعرف اَلحُب، بَيْن أُمٍّ وأب يعيشَان زواجاً تقْليديًّا بِرفْقة أطْفالهم الأرْبعة، تَكبُرهم سِنّاً شغف اَلتِي عَاشَت طُفُولَة غَرِيبَة بَعْض الشَّيْء، فقد كَانَت طِفْلَة هَادِئة، خَائِفة تَمتَلِك صوْتاً عذْباً وَمَوَاهِب فَذَّة تَتَعطَّش لِخشبة المسْرح، تُنسَج بِخيالهَا قِصَصاً أُسْطوريَّة، فَفِي الوقْتِ اَلذِي كان بِه أَبنَاء جِيلهَا يتعلَّمون القراءة وينْغمسون فِي اَللعِب، كَانَت شغف تُخطِّط لِمسْتقْبلهَا وتحْلم بِأن تُصْبِح نَجمَة لَامِعة فِي سَمَاء اَلفَن، وتَمضِي وقْتهَا بَيْن قِراءةٍ، غِنَاءٍ، رَقْصٍ، وَتَقَمَّصَ للشَّخْصيَّاتِ اَلتِي لَا تُشْبهَا فِي إِطَار اَللعِب، لَم يَلحَظ جُنونهَا أحدا مِن عائلتهَا، لِشدَّة هُدوئِهَا وَخجلِها، ولَم تَعلَم كَيفِية التَّعْبيرِ عن نفْسهَا سِوى على مَسرَح مدْرستهَا أو فِي زوايَا غُرْفتِهَا ولَم تَقتَرِب مِن الغرباء، فقدْ كَانَت شَدِيدَة الحرْص وازْدادتْ حِرْصًا حِين أَصبَحت أُخْتًا كَبِيرَةً، خَبأَت قلْبًا رحيمًا خَلْف صلابتهَا، فَهِي وَلَوْعَة بِأبيهَا الرَّجل الكادح المكافح، وَأُمهَا الصَّبورة، اِحْتضَنتْ إِخْوتَهَا ولعبتْ أَدُورَا عِدَّة فكانتْ لَهُم اَلأُخت المتفانية وَالْأُمّ الثَّانية

والصَّديقة اَلمرحة، والْأسْتاذة لِإرْشادهم فِي دِراستهم وَتمهِيد طَرِيقِهم لِدروس الحيَاة المنْهكة.

بدَا نُمُوهَا غريبًا بَعْض الشَّيْء، حَيْث شَرعَت في الْغناء مُنْذ سِنّ الثَّالثة، ثُمَّ ظَهرَت مواهبهَا التَّمْثيليَّة بِامْتلاكهَا مُخَيلَة عَظِيمَة لِتقمُّص الشَّخْصيَّات وتقاسيم وَجْه ساعدتْهَا على التَّعْبير بِحرّيَّة مُطَلقَة، أَمَّا عِنْد مُراهقتهَا فقد اِهْتمَّتْ بِكتابة الشِّعْر والْأغاني، التَّلْحين والرَّقْص اَلذِي اِتَّخذَتْه ملاذًا لِلْهروب، كانَ خَصرُها يَتَأرجَح بَيْن سعادتهَا بِقدراتهَا وَخوفِها مِن قُيُود مُجْتمعهَا.

تقطنْ شغف في حيٍّ دمشقيًّاً عتيقٍ متحفظٍ، نزحت إليه منذ بداية الحرب، بداخلِ بيئةٍ منغلقةٍ، تتخفى بلباسٍ طويلٍ غير مكشوف خوفاً من قسوةِ والديها، تقوقعت بقالبٍ من عاداتٍ وتعليماتٍ صارمة، لمْ ينجها سوى مخيلتها التي استطاعتْ أن تطيرَ بها بعيداً عن قهرها وتكسيرِ أجنحةِ أحلامها التي لم تعبّرْ عنها.

مرتْ أيامها بقسوةٍ بالغةٍ و قناعٍ مزيف، فعند كل صباحٍ تشتيقظُ بمشقة روحٍ و كأنها ناجيةٌ من معركةٍ، دهستها الأيامُ دونَ أدنى شفقة، كانتْ تتأمل نفسها في المرآةِ لتشفق على ملامحها المتعبة و تكاد لا تصدقُ أنها حيةٌ من جديدٍ.

يقيمُ بجوارِها جارٌ لطيف، طيبُ القلب، عمٌ خمسيني فريد الصفات يدعى مأمون، ذو قلبٍ صافي، يحملُ من المحبةِ ما لا يمكنُ وصفهُ لجميعِ من حولهِ، كان صديقها اَلْمُفَضَّل وملجأها الدائم خبأتْ عنده أسرارها، وهو الشخصُ الوحيدُ الذي يعرفُها جيداً أكثرَ من أي شخصٍ آخر، تعودتْ أن تعدَّ لهُ القهوةَ ليعدَ لها الأحاديثَ الشيقة، يضعُ دخانهُ بيديهِ المخضرمتينِ اللتين ترسمانِ ملامحَ العمرِ المتعبِ بوقارٍ، ثم يَجْلِسَانِ بجلساتِ ودٍّ، تفضفضُ لهُ ثم يحدّثُها بحكمةٍ، يَسْتَمِعُونَ بنشوةٍ لطربِ الزمنِ العتيقِ، يستمتعون بمشاهدةِ التلفازِ لساعاتٍ بينَ مباراةٍ وأفلامٍ ومسلسلاتٍ وأخبارٍ، ينتقدونَ الأحداثَ ويتناقشون في الكثيرِ من القضايا التي تشغلُ العالمَ، إلى أن يحينَ موعدُ العشاءِ ليعدّ لها اَلْعَمّ المثالي ألذ المأكولاتِ ويطبطب بحنانٍ على آلامها التي تهربُ منها إِلَيْهِ.

بدأتْ قصتها حين بلغتْ من ربيعِ العمرِ السابعةِ عشر فقد تسللَ لقلبها التخبط الذي أطاحَ بها وآن الأوان للاختيارِ القسري فاستيقظتْ من حلمٍ هاربٍ لم تخبرْ أحداً عنه بعد أن درستْ الثانويةَ العامة في ظروفٍ اجتماعيةٍ قاسية، و تحملتْ همومَ عائلتها الكبيرة في سنٍ مبكرة، حين كان يثقلَ كاهلها كابوسُ النجاحِ، أكثر ما خشيته هو أن تخيبَ الآمالُ بها فحملتْ مسؤوليةَ الفتاةِ البكرِ التي يثقون بها و عجزتْ عن المشي بعكسِ جادةِ الصوابِ التي رُسمت لها، اجتهدتْ بإصرارٍ إلى أن نجحتْ بتقديرٍ عالٍ.

شعرت بِلَذَّة النجاحِ مقترنةٌ بغصةِ الشعورِ بالضياعِ لطريقٍ لا تعرفُ كيف ستسلكهُ في مستقبلٍ مجهولِ المعالِمِ، اختارتْ رغبةَ عائلتها وقستْ على نفسها بإصدار حكمٍ قاسٍ واختارت رغبة والديها في دراسة المحاماة، ظننتْ للحظاتٍ ساذجةٍ بأنها على الرغمِ من ظُلمِها لنفسها ستدافعُ عن المظلومين.

وعند دخولها لكلية الحقوق شعرتْ بالضياعِ منذُ يومها الأول في عالمها الجديد، فعالمُ القانون لا يعرفُ اَلرَّحْمَة، بين دراسة قضايا منهكةٍ وَمَشَاعِر غريبة ووباءُ فسادٍ يكادُ يبتلعُ اَلْمُجْتَمَع بشراستهِ، تملكها شعورٌ بالفرارِ من هذهِ القسوةِ التي تناقضُ فنانةً حساسةً بقدرها، لكنها استمرتْ في الصمودِ لشعورها بأن قسوة هذا العلم تبدو لطيفةً بالمقارنة مع قسوةِ مجتمعها، بحسب مبدأ "أحلاهما مُر "مرّتْ الأيامُ بها إلى أن تخرجتْ من جامعتها.

وبعدَ تخرجها عاشتْ صراعاً مريراً لإخفاءِ رغبتها الجامحة بحقيقةِ أن بداخلها شغفٌ فنيٌّ حالمٌ يتقيدُ بصورةِ محاميةٍ جديةٍ، تعودُ من عملها لتغني في غرفتها بصوتٍ خافتٍ خوفاً على سرها، تهربُ من بيتها لمقهى تكتبُ به عن معاناتها وأحلامها المدفونة.

كان عزائها الوحيد هو الهروب لمقهى في أحياء دمشق القديمة والانغماس لساعاتٍ في الكتابة وفي أحد الأيامِ الماطرةِ حينَ كانتْ تكتبُ عن اَلْأَجْوَاء اَلشَّاعِرِيَّة نظرَ إليها شابٌّ بنظراتِ إعجابٍ عميقةٍ

مربكةٍ، هذا الشاب الذي كانت قد تعرفت إليه سابقاً حين كان يجلس برفقة صديقتها سمر في الجامعة و كان يبدو لها مألوفاً بعض الشيء لكنها لم تكترث، فحاولتْ أن تتجاهلَ اَلْحُبّ كتجاهلها لكثيرٍ من أحلامها،" فَاَلْحُبّ أكبرُ من أن يُسَاعِدهُ قلبٌ صغيرٌ محطمٌ من خيباتهِ المفجعة"، بهذهِ الجُملِ الباهتةِ أقنعتْ نفسها، لكنْ ما حدثَ دون إدراكها هو اهتمامها به الذي كان يُمَهِّد إلى وقوعها في اَلْحُبّ الذي يَحْتَلّ كيانَ الإنسانِ دونَ سابقِ إنذارٍ مهما حاولَ الفرارَ منه.

اقترب اَلشَّابّ وسألها :أتذكرك جيداً، أراكِ دوماً تجلسين هنا وأؤمن أن لكل شيء رسالة ولا توجد صدفا في هذه الحياة، لذا أتساءل ترى هل يمكنني مشاركة الفتاةِ الجميلةِ حُزنها والجلوسَ برفقتها؟.

استغربتْ جرأتهُ في هذا الطلبِ ونظرتْ إليهِ بتعجبٍ، لكنْ شعورها بالارتياح جعلها توافقُ على طلبهِ وقالتْ بِكِبْرِيَاء وحرصٍ شديدٍ :أسعى جاهدةً لإخفاء ملامحِ الحزنِ، هل تبدو لكَ بهذا الوضوحِ، تفضلْ.!

قالَ لها سأُعرفك بنفسي من جديد :أنا عامر دمشقي المنشأ والهوى، كنتُ أحلمُ بأنْ أصبحَ مغنياً مشهوراً

لكنني عملتُ في الأعمالِ الحرةِ لأعيشَ حياةً كريمةً في ظلِّ الغلاءِ الفاحشِ، أجابتهُ :يا للصدفةِ الجميلة!، أنا شغف فتاة دمشقية أيضاً، متعددةُ المواهبِ :أغني، أكتب وأمثّل ودرستُ المحاماةَ خوفاً من قسوةِ المجتمعِ الذي أعيشُ به ضمنَ أسرتي.

نظرَ عامرُ إليها بنظرةٍ غريبةٍ وقالَ :كم إنني محظوظ بهذهِ المعرفة، أنتِ أنثى فريدة!، سأتحدثُ بطريقةٍ مباشرةٍ دون أيةِ مقدماتٍ، كنتُ أراقبك في هذا المقهى ولا أعلمُ عنكِ شيئاً، لفتني سِحرُكِ وشعرتُ بجاذبيةٍ غريبةٍ للاقترابِ والتعارفِ، لكنني لم أتصورْ أن تَحملَ فتاةٌ بهذهِ الرقةِ ثقلاً بحجمِ الكون، أرى توهجكَ منذ الآنَ يا شغف وهذا ما جعلني أرغبُ بالاقتراب منك دون تردد، أشعرُ وكأنكِ نجمة منذ ولادتكِ، أنصحكَ بالمحاولةِ حتى النهاية.

نظرتْ إليه بحزنٍ يُفَسِّر بما بداخلها وكأنها تقولُ :قد فاتني القطارُ منذ زمنٍ طويلٍ!

نظرَ إليها عامر وقال :أعشقُ الشتاءَ والمطرَ، ترى هل
تحبينهُ؟، وهل تقبلينَ
دعوتي في التنزهِ قليلاً تحتَ قطراتِ المطر؟

ردتْ بعفويةٍ، دونَ تفكيرٍ :بالطبع.
سارتْ بجانبهِ وهي تشعرُ بألفةٍ غريبةٍ لم تشعر بها من قبلْ، بللَ المطرُ شعرها البنيّ الحريريّ وملامحها البريئة فازدادتْ فتنةً، كانَ ينظرُ إليها عامر وكأنهُ يتأملُ لوحةً فريدةً، قالَ لها" :تشبهينَ الأميراتِ الفاتناتِ، وكأن الدنيا بأسرها ترقص لي من نشوةِ السعادةِ، ثم غنى ":اللي شفته قبل ما تسوفك عينيا، عمر ضائع يحسبونه أزاي عليا" .

فشاركته ":آه أنت عمري اللي ابتدأ بنورك صباحه، أنت عمري".

ثم قالت :صوتكَ جميلٌ، لمسَ داخلي، فشاركتك الغناء باندفاعٍ وَأُحِبّ هذهِ الأغنيةَ جداً، كيف عَلمْت بهذا؟

أبتسمَ وقالَ لها :أنا أشعرُ فقط.

أحضرَ لها بعضَ المعجناتِ اللذيذةِ أثناء مرورهم بالقيمرية ثم قالَ لها :لذةُ الشتاءِ فريدةٌ، رائحةُ الحنينِ الممزوجةُ بالمطر تجعلُ من المواعيدِ العاديةِ نشيدَ حبٍّ، أعشقُ الجلوسَ بجوارِ المدفأة برفقةِ فنجان قهوتي، في كل رشفةٍ منه أستشعرُ الولهَ من جديدٍ.

قالتْ :أوافقكَ الرأي بكل تأكيدٍ، يا لسرعة الوقت تمر اللحظات اللطيفة على عجلٍ، أنا أعتذرُ عن هذا الموعدِ الخاطفِ يعزّ عليَّ إنهاءُ هذهِ النزهةِ الساحرة لكنني تأخرتُ، سأذهبُ الآن وأعدكَ أن نلتقي مجدداً في أقرب فرصةٍ.

فردَ قائلاً :اعتذارُك مقبولٌ، وأتوقُ لرؤيتكِ مجدداً.
استأذنتْ منهُ ثم عادتْ لمنزلها وحديثهما يلمسُ باطنَ قلبها، تفكرُ في أبعادِ اَلْحُبّ وَالْفَنّ، تدرسُ ردودُ أفعالِ محيطها، تسألُ نفسها ترى ماذا سيحصلُ في حالِ ظهورِ الحقائقِ التي جاهدتْ لإخفائها، حاولتْ أن ترحمَ نفسها من التفكيرِ الذي يكادُ يخنقها، وهربتْ إلى العالمِ الافتراضي لتتصفح الفيسبوك، ظهرَ لها إشْعَار بطلبِ صداقةٍ من عامر، قَبلتْه على الفور ثم كتبتْ بوست على صفحتها الشخصية يجسدُ ما بداخلها ":أتذكرُ وحدةَ قلبي، حينَ كنتُ أعبرُ الأحياءَ الدمشقيةَ القديمةَ بمفردي، أحملُ مشروباً ساخناً لاتدفئ بهِ في شتاءٍ غزيرٍ بالمطرِ، حينَ اتخذت معهدَ الموسيقى بيتاً، ووحدتي ملجأً، كنتُ أغني في الفرحِ وَالْحُزْن وأعبرُ كراقصةِ باليه لا تكترث سوى لصوتِ العزفِ، ثم أجلسُ في مكانٍ مغلقٍ لاستغرقَ في الكتابةِ عن اَلْحُبّ، اَلْحُبّ الذي لم أعهدهُ قط، أعودُ بعدها لمنزلي، أعانقُ كتابي بعد القراءةِ وأنامُ، وجاءَ هذا اليومُ الغريبُ وجئتَ أنتْ، لمْ أكنْ أتخيلُ من قبلكَ أن قلبي سيتذوقُ مرارةَ الشعورِ اللذيذ، أنني سأسلكُ هذا الدربَ الورديَّ برفقتكَ"

طلبتْ شغف من عامر أن تَسْتَمِرّ علاقتهما ويتعارفان بهدوء على وسائلِ التواصلِ الاجتماعي لأنها خشيتْ الخوضَ بعلاقةٍ عاطفية في ظِلّ ظروفها القاسية، وصفتْ لهُ برسالةٍ قصيرة ":لَسْت بِجَانِبِك، إنني في الضفةِ الأخرى أبحثُ عما فقدتُ من أحلامٍ، أبحثُ عن هويتي، أحاولُ باستمرارٍ أن أجد الأملَ لأطلقَ عنانَ روحي المتعبة وأكتشفَ نفسي مجدداً فربما لو كنا في زمنٍ آخر سأغني وأرى الدنيا متسعة بقدر سعادتي، ربما كنت بجانبي نحتسي قهوتنا، نتأمل النجوم في ليلٍ طويلٍ، وكل ما يحين الوقت للنوم يوقظنا الحب."

ليأتيها رَدَّ عامر :ربما سأبدو ساذجاً لكنني موافقٌ، فأنا معجبٌ بكِ للحدِ الذي يجعلني أتحملُ أي شيءٍ في سبيلِ أن تبقي بالقربِ مني، سأنتظركِ دائماً، المهم أنْ تَعثُري على نفسكِ، لا تقلقي فأنا بجانبكِ.

قالتْ لهُ :أنتَ رجلٌ حقيقي، وأنا امرأة لا يعنيها شيء بقدرِ دعمِ الرجلِ لها، الرجولةُ مفهومٌ واحدٌ لا يتجزأ، فالرجلُ الذي يحترمُ كياني ويدعمني هو الذي يحتويني ويُشعرني بالأمانِ، شكراً لكونكَ هذا الرجل.

في اليومِ التالي أثناءَ ازدحامِ يومها في التدريبِ للمحاماةِ التي يتحتمُ عليها الاستمرارُ بها ومحاولةَ استيعابِ القضايا المعقدةِ، اِحْتَلَّ تفكيرها شيءٌ واحد
فقط وهو حديثُ عامر ورؤيتهُ المختلفةُ لها، فهي مشتتة وكأنها لا تنتمي لهذا الزمنِ وَقُدِّرَ لها بأن تعيشهُ بلا روحٍ، تراقبُ بصمتٍ تتأملُ وَتَتَأَلَّم وتأبى أن تتكلمْ، ترى الدنيا بعيونٍ تائهة لا تفهمُ ماذا يدورُ من حولها، وتمضي بها الأيامُ دونَ أن تعيشها، تريدُ شيئاً مختلفاً، تحتاجُ الهروب من هذا العالمِ الغريبِ لعالمٍ تشعر بالانتماءِ له، وكأن عامرا جاءَ كرسالةٍ من القدر تخبرها أنهُ آنَ الأوانُ بأنْ تبدأ في رحلتها السرية، وكأن الشمسَ ستشرقُ على عالمها للكشفِ عن الفنانةِ التي تختبئ خلفَ جسدٍ هزيلٍ وابتسامةٍ مزيفةٍ.

بعدَ انتهاءِ عملها، جلستْ عند موقفِ الباصِ اتصلتْ بعامر لتدورَ أَحَادِيث عميقةٌ بينهما، وتبدأ برفقتهِ قصةَ حبٍّ غريبة منذ أولِ لقاء، فهو بنظرها الرجلُ النبيلُ الذي لم يتخلى عنها بكلماتهِ الدافئةِ، وتشجيعهِ الدائم، شاركتهُ يومها وأفكارها التي تشغلُها من ترددٍ وخوفٍ من التغييرِ فنصحها بقولهِ :استمري في البحثِ عن طريقٍ جديدٍ ولا تتوقفي أبداً، يليقُ بكِ أن تكوني نجمةً لا تنطفئ، يُسْتَمَدّ من بريقها القوة
والسعادة.

عادتْ إلى منزلها لتستلقي من تعبها، خلال صراعِ اليأسِ والتمردِ، تذكرتْ نصيحةَ عامرٍ وَدَعْمه الذي ينجحُ دائماً في انتشالها من الخوفِ فقررتْ أن تنشأ صفحةً على الإنترنت لكتاباتها الإبداعية، وكتبتْ أولَ بوستٍ بها ":في لحظةٍ ما عندما تصلُ لذروةِ المحاولةِ دون جدوى، إصرارك على الحياةِ يخلق تمرداً من نوعٍ غريبٍ يجعلك تريدُ أن تعيشَ بسعادةٍ في جميعِ الظروف" .

انغمستْ لأيامٍ في الكتابةِ على صفحتها وقدْ نسجتْ الجمالَ بإبداعٍ أدبي وحالاتٍ تنوعتْ بينَ الحالمةِ والواقعيةِ، اَلْحُبّ والحربِ، لم تكتف بمحدوديةِ انتشارها فهي تطمحُ بالكثيرِ بعد،
فأرسلتْ سيرتَها الذاتيةَ لعدةِ صحفٍ وشركاتٍ تهتمُ بنشرِ المحتوى.

انهمرت دموعها أثناءَ الكتابةِ، شجعت نفسها لترغمها على الاستمرارِ و قالت في داخلها لا بأس فلا يكتبُ

عن مأساةٍ يعيشها سوى شخص جبّار، حاولت أن تهزمَ رجفانَ أصابعها بكتابتها لهذهِ الآلام المتجذرةِ بها، لتطلقَ صرخةَ وجعٍ بقلمها و لتثبتَ جدارتها ككاتبةٍ من طرازٍ رفيعٍ بعيداً عن المحكمةِ التي رفضتها داخلَ المهنةِ التي هرعتْ منها .

ودّعتْ الماضي بكتابتها لمنشورٍ، تعمدتْ من خلاله إظهارَ وجهةِ نظرها لجميعِ الناسِ" :لمْ أتخيلْ نفسي يوماً أعملُ في عملا لا أحبهُ أو أتقبلهُ على أقلِ تقديرٍ ولا أستطيعُ أنْ أفَهمَ وجهة نظر أي امرأةٍ تتزوجُ بمن لا تحب، ربما جوهرُ المشكلة هي عاطفتي التي تتملكني ولم أتمكنْ منها، أردتُ دائماً تشكيل صورتي القوية والأكثرَ عقلانيةً لكنني فشلتْ وأنا اليوم أريدُ أن أحققَ راحتي وَأَحَبَّ نفسي مهما حدثْ فهذهِ أنا ولا أخجلُ أبداً من كوني نفسي، وقد يحدثُ أن تشعرَ بغربةٍ بعد سِنِينَ من مكوثكَ في مكانٍ ما، وَكَأَنَّ المكانَ ليسَ مكانكَ، بينما عندَ دخولكَ لمكانكَ الصحيحِ لنْ تحتاجَ سوى لبرهةٍ لتكتشفْ أنك وصلت.

بعدَ عدةِ أيامٍ بينما تَتَخَبَّط في روتينٍ متعبٍ وقلقٍ من القادمِ، لا تدري أينَ تذهب فالمجهولُ مُوحشٌ والماضي موجعٌ والحاضرُ تائه، تتساءل تُرى هل عليها المجازفة بالمضي قدماً أم التوقفُ والغرقُ بدوامةِ الفتاةِ المتخفيةِ، وفجأةً جاءتْ إشارةُ القدرِ للمرةِ الثانيةِ واستلمتْ إيميل قَبُولهَا كمحررةٍ في صحيفةٍ ذاتَ شهرةٍ واسعةٍ في الوطنِ العربي،
في تلكْ اللحظةِ غمرتها اَلسَّعَادَة واحتفلتْ بالرقصِ والغناءِ، فقدْ نجحتْ في الإنصاتِ إلى صوتِها الداخلي لأولِ مرةٍ حينَ همسَ لها كوني واثقةً أن ذاكَ الحلمُ المنفي سيغدو واقعاً قريبَ المنالِ.

بدأتْ عملها بكتابةِ المقالاتِ المثيرةِ في المجالاتِ كافة وحصدتْ نجاحاتٍ كثيرةٍ منذ أول مقالٍ لها ومع مرورِ الأيامِ تصاعدتْ أعدادُ المعجبينَ بكتاباتها، تألقتْ كشخصيةٍ مختلفةٍ بفكرٍ مؤثرٍ، و لمعَ اسمها ككتابةٍ ناشئةٍ على الإنترنت.

في ظِلّ تخبطِ أفكارها وتبعثرِ كيانها بِأَحَاسِيس مختلطةٍ بين التمردِ والتوترِ من القرارِ العاصفِ الذي

يتحتمُ عليها اتخاذهُ، وصلتْ إلى قرارٍ قطعيٍّ بإنهاءِ مرحلةٍ والبدءَ بأخرى.
تمتمتْ في داخلها ":سأكونُ نفسي، لا مزيدَ من التخفي بصورةِ المرأةِ التي يُحبها مجتمعي ولا أطيقُ كونها."

بدا تحولها الجذري بخطواتٍ جريئةٍ، لم تكترثْ لِلْعَوَاقِبِ، فما الذي ستخسرهُ امرأةٌ عاشتْ منذُ طفولتها تختبئُ منْ حقيقتها، ماذا سيحدثُ لو تصالحتْ مع مَوَاهِب خُلِقتْ بها وهلْ هذا ذنبُها، فنحنُ خلقنا بإرادةِ الخالقِ، لِكُلّ شخصٍ رسالةٌ تختلفُ عن غيرهِ، لا نختارُ انتماءاتنا ولا قُدراتِنا، وبطبيعةِ الحالِ فُرِضتْ علينا جميعُ قواعدِ المجتمعِ الخاليةِ من الرحمةِ.

بعد جدلٍ فكريٍّ عميقٍ، تركتْ شغف المحاماةَ إلى الأبدِ استناداً على قناعة أنهُ لا جدوى من المحاولةِ مجدداً في تقبلِ ما لا تحبُ، فالمرءُ حين يسلكُ طريقاً طويلاً ويعودُ منهُ فارغاً كجثةٍ هامدةٍ، يَهْجُرهُ دونَ وعيٍ منهُ، يخذلهُ الطريقُ الذي ظَنَّ أنه ممتلئ
بالورودِ ووجده صَحْرَاء جافةً.

عزمتْ على الرحيلِ ومزقتْ جميعَ الأشرعةِ لأنها أيقنتْ أن سفينتها تعاني من ثقوبٍ كثيرةٍ ولا يمكنها المجازفةُ بالإبحار بها بل عليها بتركها فارغةً لتغرقَ وأن تسرعَ بالنجوم بنفسها إلى سفينةٍ أخرى، لم يشجعها أحد بل وحاولوا بشتى الطرقِ إقناعها بتغييرِ رأيها وقناعاتها، تألمتْ وهُدِم أمامُ عينيها كلَّ ما كانتْ تؤمنُ بهِ بدءاً من عائلتها الذين تحولوا لوحوشٍ يسعون جاهداً لإخفائها خوفاً من مخالفتها للمجتمع، مروراً بأصدقاءٍ تخلو عنها خجلاً من تحررها وصراحتها، وآخرون يتمنون لها السقوطَ رغمَ أنها لم تؤذ أحداً منهم.

وبعد ذلك توسّعَ عَملُها في الصحافةِ بتنوعِ مواضيعها الفنيةِ والثقافيةِ واستمرتْ بكتابةِ الخواطرِ الإبداعية، بحروفٍ استثنائيةِ اَلْحِسّ، تحررتْ من قيودٍ ظالمةٍ وانطلقتْ لتلمعَ في سماءٍ صافيةٍ، نثرتْ بسحرِ قلمها تفاصيلَ اَلْحُبّ والظلمَ والأحداثِ المريبة على مدونتها الشخصية وسردتْ ظروفها المأساويةَ
لتنتشرَ قصتها بينَ الجميع، فلم تعرف الاستقرار في بيت تملكه أسرتها الفقيرة وأُجبرت على استئجارِ بيتٍ برفقةِ عائلتها واضطرتْ للعملِ كنادلةٍ أثناءَ دراستها الجامعية لتساعدَ عائلتها في ظروفِ المعيشةِ القاسيةِ.

و إنَّهُ ليؤلمُ بشدةٍ أن نمرَّ بهذهِ الحقبةِ من الزمنِ، الحقبةِ المنطفئةِ التي نعيشُ بها على هامشِ التاريخِ، ربما إنْ نجونا سنُحدّثُ أجيالاً قادمةً عن حياة قديمة كانت سعيدة كحلمٍ وتحولَت مع الوقتِ إلى غابةٍ تفترسُ أحلامنا، سنحدثهم بأننا نبذل الكثير في سبيل تحقيق أحلامنا، وأننا نتدفئ بحرارةِ اَلْحُبّ الذي يغمُرنا بهِ آبائنا، نتدفئ بصلواتِ أمهاتنا، بالأغاني والمسلسلاتِ القديمةِ وبحسرتنا لأننا لا نعرفُ دفئ أجسادنا، وأننا نحاولُ أن ننجو ويبدو أنهُ من لا محالةِ من الهلاكِ.

في إحدِى الأيامِ الباردةِ أثناءَ انغماسها بالعملِ، شعرتْ بتعبٍ شديدٍ و لمْ تستطعْ النهوض من فراشها، زارها طبيبٌ و شخّص حالتها ب" حساسيةٍ مناعيةٍ مجهولةُ
المنشأ"، أدّت إلى ضعفٍ في الجهازِ العصبيْ و هي حالةٌ نادرةٌ، فعانتْ آلاماً مضنيةً في آمعائها و حرقةً في أعصابها، فقدتْ ذاكرتها القريبة فكتبتْ ملاحظاتٍ تساعدها في تجميعِ أفكارها، خانتها ذاكرتها في تذكرِ التفاصيل البديهيةِ، لكنها لم تتوقفْ عن الكتابةِ للحظةٍ، هاجمها يأسٌ و قلقٌ ناجمٌ عن جهازها المناعي الذي لم يعدْ طبيعياً فانتصرتْ عليهِ بشغفِ القلمِ، و على الرغمِ من ضياعِ ذاكرتها، استجمعتْ تفاصيلَ عامرٍ بكلِ وضوحٍ و خبأت عنهُ مرضها بكبرياءِ أنثى تخافُ أن يُنظرَ لها من بابِ الشفقةِ فهي لَم تعتاد التعري بآلامها أمامَ أحدٍ.

ولمْ يكنْ المرضُ سبباً وحيداً لتعاستها فقدْ تصاعدَ ظُلمُ بيئتها، كانتْ تتمزقُ من محاولاتهمْ لتحطيمها باستمرارٍ، وكأن كلُ مافي الوجودِ يقفُ بوجهها بينما تحاولُ النهوض من أعوامٍ مضتْ و مسرحياتٍ كاذبةٍ، و أكثرُ ما كان يؤلمها أنهُ بعدَ قرارها بعيشِ حقيقتها بعيداً عن تجردها من ذاتها لسنينٍ، وجدتْ نفسها تصارعُ لتصلَ لعالمٍ جديدٍ تريدهُ بشدةٍ، عالمٌ تتشبثُ بهِ و كأنهُ طريقها الوحيدُ للنجاةِ، لم تستطعْ التوقفَ عن الكتابةِ خلالَ أيامها الصعبةِ و مصارعتها لآلامٍ شديدةٍ، كانَ مكوثها في هذه المحنةِ فرصةً لتتعرّف على جوفِ ذاتها من جديدٍ و خاصةٍ حين لمستْ إعجابَ المتابعينَ بما تقدمهُ و هذا ما حِملّها مسؤوليةً لأداءِ رسالتها، فكانتْ تترجمُ بشكلِ يومي مشاعرها في صفحتها الإبداعيةِ وفي لحظاتِ الألمِ التي أحاطتْ بها كتبتْ:

"لا أشبهُ شيئاً ولا يشبهني شيءٌ ، قدْ أبدو في غايةِ البساطةِ وبداخلي صراعاتٌ منْ التناقضاتِ فائقةً التعقيدِ، أغني للسعادةِ وأنا في غايةِ الحزنِ، أتحولُ منْ هشةِ القلبِ لحادة الطباعِ بكلمةٍ، فأنَ تفهمني هذا شيءٌ غريبٌ بلْ هوَ أقربُ للمستحيلِ قدْ يبدو وضوحي كالشمسِ بينما أعماقي تشبهُ المحيطَ، سعادتي خاطفةً تأتي وتذهبُ في لمحَ البصرُ، أبكي ثمَ ابتسمَ أعيشُ ألفُ حالةٍ في وهلةٍ أتنقلُ منْ قمةِ اليأسِ إلى أقصى النشوةَ، أحلمُ بواقعيةٍ، الفنُ هوَ فارسُ أحلامي، صديقي المفضلُ هوَ كتابي، ولا أعرفُ سوى القليلِ منْ الأصدقاءِ الأوفياءِ الذينَ يشبهونَ طباعي المريبة، مثاليةً في الحكمِ على الآخرينَ، أتأملُ بالكثيرِ منهمْ بقدرِ ما أمنحُ فأحصدُ خيبة وألماً، ابتعدَ عنْ منْ يجرحني لأنني أقدرُ نفسي فوقَ العادةِ، أعشقُ نفسي وعملي وكياني وأقدرهمْ جيداً فإنَ مجردَ محاولةٍ للمساسِ بكرامتي تحولني لمتوحشةِ تهدم الجميعَ لتدافعَ عنْ نفسها، لا أعرفُ الانتقامُ بلْ يعودُ الشخصُ غريبا في نظري وأشيعَ جنازتهُ منْ حياتي، لا يمكنكَ وصفيٌ بنرجسيةٍ ولا حتى متكبرةٍ لأنني متواضعةٌ ومعطاءةٌ إلى ما قبلَ حدِ السذاجةِ، ذكيةً ولماحةً بما يكفي لابتسمْ لكَ بمكرٍ أثناءَ فهمي جيدا ماذا يدورُ منْ حولي، ممثلةٌ دراميةٌ منْ طرازٍ رفيعٍ وأستخدمُ موهبتي هذهِ في كشفِ ما يحيكهُ الآخرونَ لي ، أملكُ حدسا فريدا ، أشعرُ بداخلِ الأعماقِ وأقرأُ الناسَ ببساطةٍ، أشعرُ بالمستقبلِ ولا يخطئُ حدسيٌ أبداً، أنا أفضل حبيبة وصديقةً وأمٍ لجميعٍ منْ حولي لكنني أيضا ألدَ عدوةً وأنتَ وحدكَ منْ تحددُ منزلتكَ في حياتي، مزاجيةً ومتطرفةً، لا أعرفُ الوسطيةُ، أحبَ بجميعِ جوارحي وأنساكَ كأننا لمْ نتعارفْ يوماً، أمقتُ النفاقُ والودُ الكاذب، حقيقيةً ومختلفةً للحدِ الذي يجعلني لا أقبلُ أنْ تقارنيَ بأحدِ فأنا نجمةٌ وحيدةٌ متفردةٌ في
لمعانها."

أَبْدَى الكثيرونَ إعجابهم بشفافيتها و جرأتها و اكتظتْ
التعليقاتُ الايجابيةُ بشهادتهمْ بجدراتها و تَمْيِيزِهَا، و كَانَ
لِهَذَا الْأَثَرِ الْأَكْبَر لنجاتها فنهضتْ مِن ظلامٍ دامسٍ
لتشرقَ مِن جديدٍ متناسيةً، غيرَ مكترثةٍ لآلامها
الجسديةو النَّفْسِيَّة، و كأنَ كُلُّ مَا حَوْلَهَا فِي حالةِ
جمودٍ، اتقدتْ قوةُ الإرادةِ بِهَا لتطيحَ بالضعفِ و تولدَ
مِن جديدٍ، وقررتْ استكمالَ مَا بدأتهُ دونَ استسلامٍ لأيٍ كَان هذهِ الْمَرَّة و عَادَتْ لتكتبْ لهمْ فِي تدوينةٍ :

"ربما هِي دوامةٌ عَلقتُ بِدَاخِلِهَا وتهتُ، لَم ينتشلني
مِنْهَا أحدْ، كنتُ أحاولُ النجاةَ مِنْهَا بمفردي قبلَ أنْ تبتلعني، تغلغلتْ بباطنِ عَقْلِيٌّ، فكانت
تحاربني و لَا أَعْرِفُ خلاصاً مِنْهَا، قيلَ فِيمَا سَبَقَ عَدُوّ
المرء نفسه و قَد أدركتُ أن أفكاري وَحْدَهَا مِنْ استطاعتْ أَن تدمرني، بدأت هادئةً و تحولتْ لعاصفةٍ، أَصَابَتْنِي بلعناتٍ كثيرةٍ مِن القلقِ و
الحزن، الخوفُ الامتناهي منْ مجهولٍ بدأ وحشاً مفزعاً، كنتَ أتلاشى وكأنني أغنيةٍ شارفتْ على الانتهاءِ بلحنٍ حزينٍ، لكنني استدركتْ شيئا ما كانَ بمثابةِ صفعةٍ لي، وهوَ أنني لستُ بمفردي بلْ محاطة بدعمِ محبينَ يحفزونني على الاستمرارِ ويراهنونَ على نجاحي وعزمتْ على محاربةِ نفسي الضعيفةِ لأعيدَ الحياةَ لروحٍ أهلكتها
وتوقفتْ عنْ أذيةِ نفسي، نعمَ ربما تعثرتْ كثيرا لكنني أنهضُ وأنا أرَى في هذا النهوضِ انتصارا عظيماً."

خرجتْ فخورةً بلذةِ النصرِ منْ معاركِ الحياةِ الشاقةِ، وصلتْ إلى المقهى الذي تكتبُ بهِ عادةً، ووجدتْ عامرٌ دونَ ميعادٍ سابقٍ
وكأنهُ كانَ يترقبُ مجيئها، اقتربَ منها دونَ ترددَ وقالَ " :شعرتْ بأنكَ ستأتينَ فسارعَ قلبي في المجيءِ إليكَ."
نظرتْ شغفَ إليهِ بحبٍ وابتسمتْ وقالتْ " : اشتقتُ لكَ."
جلستْ تحتسي قهوتها بهدوءٍ، تدندنَ أغنيةَ ففي جانبِ شخصيتها الآخرَ هيَ فنانةُ مسرحيةٍ مرحةٍ، تحبَ الحياةُ بوحشيةِ وهذا ما جعلها تتجاوزُ كلَ ما
تعرضتْ لهُ، وفي حضورِ عامرٍ تبدو كوردةٍ جورية تنثر أنوثتها ومرحها ليفتنَ بها.

قالَ لَهَا " : أَيْن كُنْت فَقْد شَعرَت بِبعْدك رَغْم تواصلنَا الدَّائم على الإنْترْنت، وَكَأنَّك تُخْفِين شَيْئاً مَا."

فقالتْ" : عانيْتُ من مرضٍ صعْبٍ، ومشاكلَ مُجْتمعيَّةٍ لَا حَصْرَ لَهَا، أُخفِيتُ اَلكثِير عَنْك لِأنَّني أَخَاف أن أَبدُو بِذَاك الضَّعْف أمامك وَيسُرني أن تَرانِي اليوْم بِهَذه اَلقُوة، و لعلَ أَهَم مَا أُخفِيه عِنْك أَنَّك مُلْهِمي."

فَقَال عَامِر " :كُنْت أَتمَنى أن أَمكُث بِجانِبك فِي الأيَّام المريرة قَبْل الجميلة، تَألمَت رُوحيّ مِن شِدَّة قَلقِي، سَأغفِر لَك هَذِه المرَّة بِشَرط أَلَّا تَتَكرَّر هَذِه الحادثة لِأنَّ مَا يُؤَرقك يُؤَرقنِي بِالطَّبْع، ويَمتلكْني
اَلفُضول لِمعْرِفة كَيْف غدوْتُ مُلْهِمك؟ "

أجابَتْه شغف " :كَيْف يُعقَل أن يَكُون لِقائي اَلأُول بِك، صاخبًا لِهَذا اَلحَد، نظْرتك اللَّطيفة لِي جعلْتني أرى

نَفسِي بِوضوح تامٍّ، أَنْت اَلجُزء اَلذِي كانَ يَنقُص رِوايَتي."

ابتَسِم بِعيون عَاشِق يَتلُوع بِشرارة اَلحُب ثُمَّ اقتَرِح " :أُريد أن تُرافقيني هَذِه اللَّيْلة فِي عَشَاء رُومانْسيٍّ، ولَا أَستطِيع تَحمُّل رَفضِك وَإن حدث الرَّفْض، سَأُضطَر لِخطْفك."

أجابته ": هَههَه أنَا مُوَافقَة، سأهْرب مِن عائلَتي لِأجْلك، لَا دَاعِي لِلْخطْف"

غمرُتهُ سَعادَة لَم يعْهدْهَا، يَكَاد أن يحْملَهَا ويطير بِهَا بعيداً، قبّل يَدهَا ثُمَّ خرجَا مِن المقْهى بصورة عاشقينِ يتلوعان بشرارة الحب، أوَصلهَا لِمنْزلهَا وودِّعهَا بِقوْلهِ" :على أحرَّ مِن الجمْر، أَنتظِرك اللَّيْلة"

ابتسمتْ بِخَجل ولوحتْ لَه ثُمَّ دخلتْ مَنزلِها، أخبرتْ عائلتَها بِأنَّ عليْهَا الذَّهَابُ إلى عِيدِ مِيلَاد صديقتهَا ثُمَّ دخلتْ إلى غُرْفتِهَا.

بحثتُ عنْ فستانٍ مبهرٍ يظهرُ لمعانها، لتسرق أنظارَ الرجلِ الذي احتلَ قلبها، اختارتْ فستانا أسوداً ناعماً في غايةِ الإثارةِ، صففتْ شعرها، ووضعتْ أحمرُ الشفاهِ الأحمرِ لتأسرهُ بأنوثتها الطاغيةَ، و على موعدهما خرجتْ لتراهُ يقفُ بالقربِ منْ منزلها..

نظرُ إليها بدهشةِ وقالَ" : لمْ أرى في حياتي بأكملها أجملَ منكَ، وكأنَ النساءَ جميعهنَ مزحةً وأنتَ اليقينُ الوحيدُ، إنني أذوبُ في أغنيةٍ منْ مقامِ شرقيَ عتيقٍ، أعانقُ السماءُ لأولِ مرةٍ، أتنفسُ لأولِ مرةٍ منْ أعماقِ قلبي هوى العشقُ، قبّلها ونظرَ بهيامٍ لعينيها وجمالها الساحرُ، أمسكَ بيدها ورافقها إلى عشاءِ رومانسيٍ في جوٍ هادئٍ، تحتَ أضواءِ الشموعِ وخلالَ عزفِ موسيقى هادئةٍ تشبهُ رقةَ هذا الموعدِ، طلبَ منها أنْ يراقصها، فوافقتْ على الفورِ، تراقصتْ قلبوهمْ على أنغامِ العشقِ الذي بدأَ يلتهبُ بهما، شدها واقتربَ أشدُ القربِ منها وقالَ" : أحبكُ، أذوبُ هياماً، تحتلينَ كيانيٌ دونَ رحمةٍ أيتها الشقيةِ

"لتجيبهُ ":وأنا أحبكُ للحدِ الذي يجعلني أشهقُ منْ شدةِ كثافةِ هذا الغرامِ"

أمسكت بيديه، و قالت له" :كأنك تعيش بداخل روحي، أحبها لدرجة أنني أحفظها عن ظهر قلب و كنت أحلم أن يهديها أحدهم لي و تحقق الآن حلمي، أحبك بعنف هذه القصيدة، أحبك بأبعاد سرمدية ".

ثمَ قبلها بعمقٍ دونَ اكتراثٌ لأيِ أحدٍ ، هكذا هوَ الحبُ يأتي فجأةٍ فيستقرّ في كيانكَ بعنفٍ ، لا تجدُ النشوةُ إلا برفقةِ منْ تحبُ ، تمقتَ الوحدةُ وكأنَ الكونَ بأكملهِ لمْ يعدْ يعني لكَ شيئا بمفردكَ . قالتْ لهُ" :أريدُ أنْ أكتبَ لكَ شيئا يا ملهمي "

فجلسا وكتبتْ" : رأيتكُ منذُ أعوامٍ فهويتْ، صارَ الحبُ صبوتيْ في صباحيٍ ومسائيٍ إلى أنَ تحول لشغفِ بكَ، مخبىءْ بداخلي، أراكُ منْ بعيدٍ، أعانقُ صوركَ وأقبلها، أحميكُ بأعماقي منْ نسمةٍ قدْ تؤرقكَ، وجدي بكَ خلقهُ هذا الحبِ الذي يتسلقُ قلبي بسرعةِ بالغةٍ ، كنتَ قدْ أدركتْ بأنَ كلفي بكَ خلقٌ بدونِ تكلفٍ، عشقتكَ بنجوى، بوصبْ، باستكانةٍ بحسرةٍ لأنكَ لمْ تعلمْ بهذا الودِ، كنتَ خليلي وحبيبي والدنيا
بأسرها لي، أصابَ الغرامُ روحيٌ وطارَ بي لآخر سماء، همتْ وتيممتْ بعيونكَ التي لمْ أعرفْ غيرها للعشقِ سبيلاً وفقدتْ عقليٌ ورغبتي في الحياةِ دونكْ.

قرأ ما كتبتْ ثم ابتسمَ وقال" :هلْ تريدُ أنْ تصيبيني بالجنونِ !!أكادَ أذوبُ في غرامكَ ولا أصدقُ أنَ فتاةً بكلِ هذا الجمالِ تحبني بعمقٍ، أريدُ أنْ نبقى حتى الصباحِ نغرقُ أكثرُ فأكثرُ، فأنا لا أكتفي منْ هذا الحبِ أبداً."

فقالتْ " : ليتني أستطيعُ أنْ أتخذَ قلبكَ بيتي الدائمُ، ليتَ الوقتَ يتوقفْ لأعيشَ برفقتكَ إلى الأبدِ، لكننا للأسفِ مضطرونَ إلى النهوضِ منْ هذا الحلمِ إلى واقعٍ يجبرنا على الاستمرارِ ، والآنُ علينا أنْ ننهضَ لأنني تأخرتْ " عامرٍ " : سننهضُ يا حبيبتي الجميلةَ وسأتركُ قلبي برفقتكَ إلَى أنْ يأتيَ غدٍ وأراكِ مجدداً".

رافقها في الخروج إلى منزلها وودعها بقبلةٍ ، قالتْ" : أحبكُ " فرد عليها "
:أموتُ لأجلك"
وصلتْ لمنزلها ولحسنِ الحظِ أنَ جميعَ أفرادِ أسرتها يستغرقونَ بنومْ عميق، تحدثتْ في نفسها " : ما هذهِ الليلةَ، أحتاجُ أنْ أكتبَ الكثيرُ عنهُ، أريدُ أنْ أتباهى بهذا الحبِ أمامَ الدنيا بأسرها، كتبتْ على مدونتها الشخصيةِ " :قبلٌ سنواتٍ حينَ كنتَ يافعةً تستعدُ للإقبالِ على الدنيا، بدأ قلبي بالترقبِ، كنتَ أبحثُ عنْ شغفٍ لأصنعَ منهُ عملاً، وحب لأتأخذهْ ملجأ، كنتَ أقرأُ وأكتبُ، أغني وأتخيلُ أنني نجمةٌ لامعةٌ ثمَ أعودُ لواقعيٍ، أدرسُ باستمرارَ بعيدا عنْ الفنِ الذي احتلَ قلبي كاملاً، عشتُ بلا روحٍ، مَشيتُ بينُ العشراتِ منْ الناسِ غريبةً تائهةً، شاءَ القدرُ في أحدِ الأيامِ أنْ أراكُ كنتَ تشبهُ الخرافةُ التي أقرأها في الكتبِ، لَمْ أصدقْ أنَ ذاكَ كانَ حبا ومضيتُ بقلبٍ خائفٍ يخافُ الحبُ، كنتَ أشبه الأصنامِ التي مهما تحاولُ أنَ تحركها تبقى جماداً، ومضتْ السنواتُ لأدركَ كمٌ كنتُ غبيةً !أنَ ما مضى يشبهُ الجحيمَ، أنني منذُ أنْ ولدتْ أحبَ الفنُ ومنذُ أنْ التقيتكُ أحبكُ."

قرأ عامرٌ ما كتبتْ وأرسلَ لها رسالةٌ على الفورِ:
" وهذا الرجلُ الذي امتلكتْ قلبهُ، أحبكِ بعمقٍ منذُ النظرةِ الأولى، وأيقنَ بأنكَ منْ كانَ يبحثُ عنها طيلةِ هذهِ السنينَ، أحبكُ "

فردتْ" :أحبكُ جداً، بقدرِ أثرِكَ العميقِ في تغييريِ."

تربعُ حبه على عرشِ قلبها وهذهِ سيادةُ الحبِ وقدرتهِ على تغييرنا، فكلٌ منا يحبُ لمرةٍ واحدةٍ فقطْ، حبٌ حقيقيٌ يذهبُ بهِ بكلِ وجدانهِ وعاطفتهِ، حبٌ يغيرهُ ويقلبُ كيانهُ، يجعلهُ يرى الدنيا بصورةٍ ورديةٍ، حبُ مهما فعلَ لنْ يستطيعَ أبدا انتزاعهُ منْ قلبهِ، لأنهُ منْ احتلَ روحهُ وقلبهُ وصارَ جزءا منهُ.

ذهبتْ للنومِ على الفورِ ليكتملَ الحلمُ بعامرٍ، فارسُ أحلامها وواقعها، كانتْ تتمنى لهذا الحبِ توهجاً دائماً، تقبّلَ صورتهُ في كلِ ليلةٍ، تعانقَ روحهُ وتسحبهُ لحلمها.

استيقظتْ في الصباحِ التالي لتلك الليلة الأسطورية بلطفٍ و سعادة، أعدتْ لنفسها ركوة منْ القهوةِ وتناولتْ الشوكولا اللذيذةِ، جلستْ تفكرُ بهدوءٍ لتكتبَ، أرادتْ أنْ تضيفَ روحا جديدةً لمدونتها وتملأُ بها تفاصيلُ حياتها الجديدةِ فقدْ آنَ الأوانُ للخروجِ منْ مرارةِ الماضي، كتبتْ " :امرأةٌ قويةٌ بقدري، أصابها مرضٌ مفاجئٌ، تعاملتْ معهُ بصرامةٍ، تناولتْ الدواءَ وكأنهُ ماءٌ، تأثرُ جهازها العصبيِ فدخلتْ في نوبةِ اكتئابٍ ثمَ خرجتْ بنوباتِ ضحكٍ هيستيريةٍ، تشبثتْ بالحياةِ بوحشيةِ رغمَ كسرِ قلبها، دفنتْ خيباتها في أعماقِ روحها وكتبتْ للسعادةِ والحبِ، امرأةٌ طموحةٌ، شغوفةً، لا تتوقفُ عنْ الغناءِ، ولا تكتفي منْ الفنِ، سعيدةً دائما بوحدتها، يخذلها الجميعُ فتستخدم موهبتها التمثيليةُ في الابتسامِ لهمْ،محاربةٌ لا تعرفُ كيفَ تستسلمُ، أتظنُ يهزمني شيءٌ !معاذَ اللهِ ولنْ يحدثَ، أنا منتصرةٌ وفخورةٌ بكوني هذهِ المرأةِ دائماً."

فاجأها اتصالٌ عامرٌ في أثناءِ انغماسها في الكتابةِ وطلبَ رؤيتها في مكانهمْ المعتادِ، فتجهزتْ وذهبتْ دونَ تردد، كانَ يجلسُ كعادتهِ يترقبُ مجيئها وحينَ وصلتْ أسرعَ بعناقها مطولاً،
قالتْ لهُ " :كنتَ أكتبُ وتوقفتْ لأنهُ كانَ ينقصني بطلُ الروايةِ، ما رأيكَ أنَ أكتبكُ الآنُ "

أجابها عامرٌ" :يسعدني أنْ تكتبنيَ حبيبتي "

كتبتْ:

منْ بينِ هذهِ الأوهامِ والمسرحياتِ التي بدتْ كاذبةً لحدِ الممات، والكومبارس الذينَ غادورني، الستائرُ التي أغلقتْ، ابتساماتي المزيفةُ كلَ هذهِ السنين، توهمي وادعائي بالسعادةِ بينهمْ، هناكَ حقيقةٌ واحدةٌ هيَ غرقٌ قلبيٌ ببحرِ تلكَ العيونِ التي ترسختْ في داخليٍ منْ قبلُ إدراكي بأنني أستطيعُ أنْ أحب، منذُ تلكَ اللحظةِ لمْ يدخلْ قلبي أحد ولمْ يملأْ قلبي ولا ذاكرتي سواكَ."

فردٌ عامرٌ" : إنني لا أعرفُ الكتابةُ لكنني أدركَ إلقاءَ الشعرِ وهلْ لي أنْ أهديكُ قصيدةً تليقُ بامرأةِ مثلك؟

قالتْ" : بالطبعِ حبيبي، كلُ شيءٍ يأتي منكَ يبدو لي ساحراً."

فقالَ " : إليكَ ما أحبَ منْ شاعرِ الحبِ نزارْ قباني:

أحبكُ . . لا أدري حدودُ محبتي طباعيٌ أعاصير ..وعاطفتي سيلٌ وأعرفُ أني متعبُ ياصديقتي وأعرفُ أني أهوجُ .. أنني طفلٌ

أحبَ بأعصابي
أحبَ بريشتي، أحبَ بكلي..
لا اعتدالُ، ولا عقلُ
أنا الحبُ عندي جدةُ وتطرفُ وتكسيرُ أبعادٍ
ونار لها أكلُ
وتحطيمُ أسوارِ الثواني بلمحةٍ
وفتحِ سماءٍ كلها أعينُ شهلْ
وتخطيطَ أكوانٍ،
وتعميرَ أنجمْ ورسمِ زمانٍ..
مالهُ . . مالهُ شكل
أنا ما أنا ؟.. فلتقبليني مغامرا تجارتهُ الأشباحُ والوهمُ، والليلُ
وقبلكَ لمَ أوجدَ..
فلما مررتْ بي تساءلتْ في نفسي : ترى كنتَ منْ قبلٌ؟
بعينيكَ..قدْ خبأتْ أحلى قصائدي إذا كانَ لي فضلَ الغناءُ . . فلكِ الفضلُ."

أمسكتْ بيدهِ، و قالتْ لهُ" :كأنكَ تعيشُ بداخلِ روحي منذُ الأزل، أحبها لدرجةِ أنني أحفظها عن ظهرِ قلبٍ و

كنتُ أحلمُ أن يهديها أحدهمْ لي و تحققَ الآنَ حلمي، أحبكَ بعنفِ هذه القصيدة، أحبكَ بأبعادٍ سرمدية."

خرجا منْ المقهى وذهبا لشراءِ بعضِ الطعامِ والخروجِ لنزهةٍ في الحديقةِ في جوٍ ربيعيٍ معتدلٍ ورياحِ الحبِ تهبُ بشدةٍ على قلوبٍ عاشقةٍ، غنتْ لهُ ":وتشربَ منْ فنجانكَ وأشربَ منْ عينيكَ، لَوْ بعرفٍ حبيبيٍ، حبيبي بتفكرِ بمين " فردّ عليها أثناءَ مداعبةِ نسماتِ الهواءِ لشعرها " :أفكرُ بمنْ تسلبُ روحي دونَ وعيٍ منها "

وفي أثناءِ الموعدِ اللطيفِ اتصلتْ بها والدتها وطلبتْ مساعدتها في شرحِ بعضِ الدروسِ لأختها، فاعتذرتْ منْ عامرٍ بقبلةٍ وذهبتْ إلى منزلها لمساعدةِ أختها المشاغبةِ التي تكاد أنْ تتعثرَ بمستقبلها، فشغفَ هيَ صخرةُ عائلتها، تساعدَ أمها في الطهيِ وأبيها في جلبِ الحاجياتِ الأساسيةِ، هيَ أنثى حديدةٍ تعملُ بجهدٍ على جميعِ الأصعدةِ، مثابرةً ولا تشعرُ بالرضا عنْ نفسها، تريدَ المزيدَ منْ النجاحِ بإصرارها الذي لا ينتهي، وتحاولَ أنَ تكونَ الأفضلِ في جميعِ أدوارها، عادتْ للكتابةِ و كانتْ شعرُ بأنَ ما زالَ لديها الكثيرَ للبوحِ عنهُ، تأخذها ذاكرتها لصداقاتها القديمةِ،
فتكتبَ " : أنا وحيدةٌ وخاليةٌ تماما منْ أشباهِ الأصدقاءِ لأنني أمقتُ الثرثرةُ، أتحدثُ بعمقٍ وبفلسفةٍ ينظرونَ لي بتعجبٍ، يتحدثونَ عنْ العريسِ القادمِ وأتحدثُ عنْ أعمالي القادمةِ، يعشقونَ المجاملاتُ والنفاقُ ولا أعرفُ سوى الصراحةِ لا أتبادلُ معهمْ سوى بعضِ الضحكِ والكثيرِ منْ الملل، اخترتُ العملُ بهدوءٍ واستثمارِ وقتي في شيءٍ يبدو لي حقيقياً أكثر."
و في أثناءَ كتابتها وصلها إيميلْ منْ الصحيفةِ التي تعملُ بها يتضمنُ " :مساءَ الخيرِ آنسةَ شغفٍ، نباركُ لكَ لحصولكَ على أعلى نسبِ القراءةِ في صحيفتنا وتكريما لجهودكَ وعلى اعتباركَ إضافةً قيمةٍ لفريقِ العملِ، قررتْ رئاسةَ التحريرِ تعيينكَ في منصبِ إدارةِ التحريرِ مما يتطلبُ منكَ السفرُ إلى مصرَ لممارسةِ عملكَ اليوميِ ونتأملُ موافقتكَ على المنصبِ الجديدِ، ننتظرُ ردكَ غداً ".

كادتْ تطيرُ منْ السعادةِ بجناحاتْ نسجتْ بخيوطٍ منْ الولهِ بالمهنةِ التي تعشقها والسفرِ إلى المدينةِ التي تحلمُ بها مصرُ الحبيبةُ أمَ الدنيا، لكنَ سعادتها الكبيرةَ لوحةً ناقصةً يتخللها بعضُ الخوفِ والحزنِ كيفَ ستذهبُ وتتركُ الحبَ الذي يتشبثُ بأعماقِ وجدانها، جلستْ بصمتٍ مريبٍ تحاولُ استيعابَ الأمورِ الصعبةِ وإيجادِ حلولٍ لهذهِ المعضلةِ وفكِ النزاعِ بينَ صراعِ حبيبنِ كلاهما معشوق يجعلُ منها امرأةً في غايةِ القوةِ والإيجابيةِ .

حاولتْ إنهاءَ صراعها وارتدتْ ملابسها لترتاحَ منْ تشتتِ أفكارها وخرجتْ لرؤيةِ عامرٍ فهيَ تعلمُ أنهُ الوحيدُ الذي يفهمها ويملكُ مفاتيحَ الحلولِ جميعها، ذهبتْ إلى المقهى الذي يجمعهما دائماً وعند وصلوها لمْ تراهُ على طاولتهِ المعتادةِ فاستغربتْ وحاولتْ البحثَ عنهُ بينَ جميعِ وجوهِ الحاضرينَ ثمَ سألتْ النادلَ الذي يحفظهُ جيداً عنْ مكانهِ
فردُ النادلِ :الأستاذُ عامرٌ خرجَ منذُ قليلٍ وكانَ مسرعا بعدَ اتصالِ إحدى الممرضاتِ منْ المستشفى بخصوصِ مرضِ زوجتهِ
أظنها تعرضتْ لنكسةِ بعدِ الجرعةِ مجدداً، أصيبتْ شغفَ بذهولٍ تامٍ، صدمةٌ تكاد تطيحُ بها أرضاً، لمْ تكنْ تستطيعُ استجماعَ شتاتَ قلبها الذي انكسرُ في ذاتِ اللحظةِ التي سمعتْ
بها ما لمْ يكنْ في الحسبانِ، عامر متزوج !وزوجتهِ مريضة سرطان تعاني في المستشفى!

كيفَ لها أنْ تتحملَ أنها تعرضتْ لمؤامرةِ حبِ بطلها رجل متزوجٍ وأنها أصبحتْ طرفا في جريمةِ ضحيتها امرأةً مسكينةً مريضةً تعاني في المستشفى ألمَ السرطانِ والخيانةِ!

أصابتها صدمةٌ فتّاكة، ترى هلْ نفذَ الكلامُ أمْ أنها تحتَ تأثيرِ لحظةِ السكونِ، وكأنَ المفرداتِ تنتهي والمواضيعَ تنغلقُ ربما يتحتمُ عليها الصمتُ فقطْ ليبدوَ المشهدُ تراجيديا بما يكفي .
مضتْ حاملةَ خيبتها حينَ ودعتْ أكثرَ وجهٍ أحبتْ، لوحتْ بيدها بينما كانَ قلبها يظنها تحية، كانَ الطريقُ مثقلاً بالأشواكِ، حالكَ الظلامِ حينَ اختارتْ أن تهربْ و تتجاهلَ قلبها، مضتْ لأن المرء عليهِ أن يتوقف عن الحب الذي يؤذيه .

وصلتْ بعدَ طريقٍ شاقٍ إلى بيتها وهيَ على يقينٍ أنَ عليها السفرُ والهروبُ إلى الأبدِ، وأنَ الابتعادَ هوَ الحلُ الوحيدُ فأخذتْ قرارا لا رجعةً فيهِ في السفرِ وبدءِ

حياةٍ جديدةٍ، حياةٌ تخلو منْ الألمِ والذكرياتِ الموجعةِ، استلقتْ على سريرها بتعبِ الخذلانِ والهزيمةِ، بكتْ لساعاتٍ طويلةٍ الحبِ الذي تحولَ للعنةِ تحرقُ داخلها، إنهُ الحبُ الداءُ مجهولَ الدواءِ، الذي تحاولُ تجاهلهُ فيحتلُ كيانكَ، تذهبَ بعيداً عنهُ فيلاحقكَ بتفاصيلهِ، يعيشَ بكَ وتموتُ بهِ، الحبُ وحدهُ سيدكَ يأمركَ وينهيكَ، هوَ الوحيدُ القادرُ على أنْ يسريَ بكَ لأعلى سماءٍ ويهوي بكَ إلى باطنِ الأرضِ

.

حاولتْ التفكيرَ بأنها نهضتْ مئاتِ المراتِ السابقةِ، بأنَ هذهِ المرةِ هيَ ليستْ الأولى ولنْ تكونَ الأخيرةَ، أرادتْ نفسها على لملمةِ بقايا روحها ونهضتْ لتضعَ النقاطَ على الحروفِ، أرسلتْ لعامرٍ رسالةِ الوداعِ التي عبرتْ بها عنْ حرقتها وكتبتْ" :كنتَ تعلمُ أنني أمقتُ الكذبُ والخيانةُ، كنتَ تعلمُ أنني لنْ أغفرَ لكَ مهما حييتْ، والآنُ بعدما كنتُ لكَ بيتا وأسرةٌ، أماً وأختاً وصديقةً وعشيقةً وأنثى كاملة، لنْ تنالَ مني تحيةً بعدَ اليومَ وإنْ جمعتنا الصدفةُ في شارعِ لهجرتهِ، لمْ تعدْ حلمي المستحيلِ بلْ كابوسا أتمنى أنْ أشفى منهُ، سأنسى نعمَ وسأصبحُ نجمتكَ الضائعةَ التي مهما فعلتْ لنْ تصلَ إليها أبداً.

ثمَ أرسلتْ ايميلا للصحيفةِ التي تنتظرُ ردها كتبتْ به" :أشكركمْ وبالطبعِ نعمَ، أنا موافقةٌ وجاهزةٌ دونَ أيْ ترددٍ
".

وبعدُ انتهائها دخلتْ في نومٍ عميقٍ لتخففَ منْ ثقلِ يومٍ بعدَ أنْ اعتصرَ قلبها منْ كثافةِ الذي أصابها .

و استيقظتْ في اليومِ التالي مبكراً و تهيأتْ للتحدثِ وهيَ تعلمُ أنها ستفتحُ جبهاتِ حربٍ جديدةٍ معَ عائلتها الذينَ بالكادِ يتقبلونَ عملها.

ثم بدأتْ بالتحدثِ معَ عائلتها بشجاعةٍ ودونَ اكتراثِ لردهمْ لمْ يعدْ يعنيها شيءٌ سوى تحقيقِ أحلامها فأصابتهمْ بدهشةٍ منْ تغييرها الجذريِ، كيفَ لفتاةٍ هادئةٍ أنْ تصبحَ بهذا الصخبِ، ولمْ يعجبهمْ أنْ تخرجَ فتاةٌ للعيشِ وحدها في بلدٍ غريبٍ وكأنَ هذهِ الميزةِ متاحةً للشبابِ فقطْ، لمْ تخضعْ لرغبتهمْ وقالتْ و هيَ تشعرُ بالحسرةِ " :أنا آسفةٌ لأنني لستُ الابنةَ المثاليةَ التي تحلمونَ بها، اعتذرَ عنْ عفويتي وصدقي في التعبيرِ عنْ ذاتيٍ، لا أريدُ شيئا سوى حريتي، تعبتُ، أرجوكمْ هذهِ فرصتي الوحيدةُ لإثباتٍ نفسي، أنا اليومَ أبلغَ الرابعةَ والعشرينَ وإلى الآنِ أعاني منْ صعوبةِ الحياةِ هنا، أحاولُ أنْ اتكأَ على شيءٍ واحدٍ صلبٍ وهوَ عملي، الشيءُ الوحيدُ الذي اخترتهُ وكنتُ قدْ تركتْ لكمْ في الماضي جميعُ الخياراتِ التي كنتُ الأجدر باختيارها، الآنُ حانَ دوريٌ، لنْ أتراجعَ عنْ هذهِ الفرصةِ أبداً، لكنني أتمنى أنْ يبقى الودُ بيننا."

انهمرتْ دموعها وقبّلتْ رؤوسهمْ ثمَ ذهبتْ لتوضيبْ أغراضها وهيَ واثقةٌ بأنها اتخذتْ قراراً صحيحاً سيجعلُ منها امرأةً أفضلَ على جميعِ الأصعدةِ، أنها في هذهِ المرةِ لنْ تخسرَ أبداً.

توجهتْ إلى منزلِ العمِ مأمون لتوديعهِ عانقته بشدة و منذ دخولها انهارَ قلبها و انهمرتْ دموعُ الحسرةِ الشديدة و كأنها لنْ تراهُ مجدداً، ثم نظرتْ إليهِ و سألتهْ" :هل تؤيدني في خطواتي؟، ترى هل ستمنحنا الحياةُ لقاءاً مجدداً؟".

ابتسمُ لها و قال" :أنا فخورٌ بكِ يا ابنتي، إنني محظوظٌ بإبنةٍ لمْ أنجبها، أنتَ جميلةُ القلبِ، مرهفةُ الحسِ، ذكية و قوية بما يكفي لإيجادِ طريقك الصحيح، لا أدري إن كانَ هذا لقاءنا الأخير، لكنْ نصيحتي لكِ هي :لا تتخلِ عن كونك ذاتك فأنتِ متفردة، أرجوكِ أن تستمري في طريقكِ مهما بدا لكِ موحشاً، أرى منذ الآن توهجكِ، أدعو الله أن يمنحكِ ما تستحقين، رافقتكِ السلامة يا صغيرتي ".

قبلتْ رأسهُ ثم قالتْ لهُ " :إنني أحبكَ بقدر اتساعِ الكونْ، أنتَ أبي الثاني و صديقي الأعز، شكراً على كونكَ أصدقٌ و أنقى قلبٍ عرفته، أدعو الله أن يحميكَ إلى أن نلتقي ".

عادتْ إلى منزلها لتوضيبِ حقائبها و تفكرُ بالذي يحلُ بها، هل التغيير المستمرْ و الكفاحُ في محاولة التمسكِ بالحياةِ هو عنوان حياتها في هذه الفترة،
لا تعلمُ ماذا يجري في داخل رأسها، تتقلبُ في دواماتٍ من التفكيرِ المتواصلِ و البحث عن فرصٍ

لتجعلَ الحياةَ ممكنةً، هل هي البلادُ البعيدة التي ستجعلها تشعر بالاستقرار أم هو دفئ العائلة و الحبُ الذي تعيشه، أين تستقر ذاتها و تهدأ نفسها و أين تشعرُ أنها بخيرٍ بعيداً عن التظاهر به ؟.!

كانَ يصرخُ داخلها كفى تعباً، أريدُ أنْ أمضى بعيداً جداً، بعيداً لدرجةَ أنْ أبحثَ لنفسي عنْ حياةٍ أجدُ بها قيمتي الحقيقةُ التي فقدتْ، ثمَ خلدتْ إلى النومِ مبكرا لتستعدَ جيداً لرحلتها الجديدةَ.

استيقظتْ مبكرا بنشاطٍ وتهيأتْ لحياةٍ جديدةٍ تنتظرها، كانتْ تشعرَ وكأنها امرأةٌ مشتتةٌ تتأرجحُ بينَ أحلامها وواقعها، بينَ حاجتها لتشعرَ بكيانها وترددها في المغامرةِ، تتسارعَ ضرباتِ قلبها لشدةِ خوفها منْ الفشلِ بهذا التحدي الذي اقتلعتْ لأجلهِ جذورَ حبها لوطنها وتعلقها بعائلتها.

عانقتْ أبويها وإخوتها عناقَ الوداعِ وبكتْ دونَ أنْ تصدرَ صوتا ثمَ خرجتْ منْ منزلها وفي داخلها تفيض مشاعرُ غريبةٌ أنثاءْ مرورها في طرقاتٍ شهدتْ على
جميعِ مشاهدِ حياتها.

في أثناءِ طريقها لمطارِ دمشقَ الدولي، كانتْ تنظرُ بحبٍ وانقباضةَ صدرَ لدمشق الفاتنةِ، البلدُ الصامدُ بروحِ ساكنيهِ، ترى فيهِ البساطةُ ومحاولةُ التمسكِ بالسعادةِ، بدأ شعور الحنينُ لأحيائهِ القديمةَ التي تحملُ دفئاً، ستفتقدُ بشدةِ هذهِ المدينةِ الحزينةِ التي تفرُ منها لحلمٍ يتحتمُ عليها تحقيقهُ، و في أثناء عبورها تقولَ في داخلها بحسرة" :حانَ وقتُ الوداعِ يا دمشقُ " تستمعُ في الطريقِ إلى دندناتْ فيروزْ الرقيقةَ :

"شآمْ ... لفظُ الشامِ اهتزَ في خلدي
كما اهتزازَ غصونِ الأرزِ في الهدبِ
أنزلتْ حبكَ في آهي فشددها
طربتْ آها، فكنتُ المجدْ في طربي."

ثمَ وصلتْ إلى المطارِ ومشتْ بهدوءِ غريبٍ، جلستْ لتحتسيَ فنجانَ قهوتها الأخير في دمشقَ الفاتنةِ، ستشتاقُ لهذهِ البلدِ المعشوقةِ رغمَ ما تحملهُ منْ ذكرياتٍ تفتكُ بزوايا قلبها، وكمْ هوَ صعبٌ استيعابُ

أنها بعد عدةِ ساعاتٍ ستحطُ على بلدٍ آخر، كانتْ تحلمُ بزيارتهِ ورغمِ ذلكَ ستشتاقُ للوطنِ الذي تنتمي لهُ فليسَ بإمكانِ المرءِ اقتلاعَ جذورهِ ونسيانِ أصولهِ وفي الأخصِ إنَ كانَ ينتمي لدمشقِ المدينةِ العتيقةِ الساحرةِ، وفي أثناءِ غوصها في بحرِ منْ الذكرياتِ والحنينِ الذي بدأَ منذُ مغادرتها لمنزلها، ولكنْ الوقتَ قدْ حانَ للذهابِ في الرحلةِ الجديدةِ ومضتْ للصعودِ إلى الطائرةِ وبعدَ قليلٍ أقلعتْ طائرةَ الذهابِ في السماءِ لتعلنَ شغفَ حريتها منْ خوفها وترددها، كانتْ تحاولُ تجاهلَ مشاعرها، فلا تريدُ الإنصاتَ لأصواتٍ تتبعثرُ بداخلها، تجبرَ نفسها على تصديقٍ بأنَ ما يحدثُ هوَ شيءٌ عابرٌ فما منْ شخصٍ يغادرُ وطنهُ دونَ أنْ يعانيَ منْ سكراتِ الوداعِ، بدأَ قلبها بالحنينِ المبكرِ لأسرتها، كيفَ ستبدأُ حياتها بعيداً عنْ عائلتها لأولِ مرةٍ.

وبعدٌ ساعاتٍ منْ الطيرانِ وصلتْ إلى مطارِ القاهرةِ، كانَ بانتظارها أحدَ الموظفينَ الذي سيرافقها لعنوانها، خرجتْ لرؤيةِ المدينةِ الرائعةِ، التي لطالما حلمتْ بالوصولِ إليها، كانَ أمراً مثيراً للدهشةِ، التجولُ في مدينةٍ واسعةٍ بينَ شعبٍ طيبٍ وحضارةٍ فرعونيةٍ فريدةٍ، شعرتْ بلذةِ الوصولِ لأولِ مرةٍ إلى وجهةٍ صحيحةٍ، ففي بعضِ الأماكنِ قدْ تشعرُ بعدَ سنينَ منْ مكوثكَ أنَ المكانَ ليسَ مكانكَ، بينما عندِ دخولكَ لمكانكَ الصحيح لنْ تحتاجَ سوى لبرهةِ لتكتشف أنكَ وصلتْ.

دخلتْ لغرفتها الجديدةِ القريبةِ منْ عملها، واستلقتْ على سريرها بعد مشقةِ محاولةِ ترتيبِ نفسها، وترميمَ أفكارها المشتتةِ فهيَ بحاجةِ إلى البدءِ بقوةٍ منْ هذهِ المحطةِ فلا جدوى منْ النظرِ مجدداً لتلكَ الطرقِ القديمةِ، لا شيءَ سيتغيرُ، لنْ تلينَ الحجارةُ ولنْ ينقلبَ سوادها إلى ألوانِ الطيفِ، ربما علينا أنْ نمضِ بعيداً جداً، بعيداً لدرجةَ أنْ نتوهَ عنها ونجد لأنفسنا حياةً جديدةً، حياةٌ نشعرُ بها أننا وجدنا لذواتنا قيمةً.

ليسَ بيدها حيلةً سوى القوةِ، لمْ تعدْ تمتلكُ خياراتٍ أخرى، لكنهُ شيءٌ واحدٌ فقطْ، تفتقدهُ بشدةٍ منْ بينِ كلِ هذهِ الأوهامِ والمسرحياتِ التي بدتْ كاذبةً لحدِ المماتِ، الستائرُ التي أغلقتْ، وكلَ شخصٍ لعبِ دورِ الكومبارس وغادرها، بينَ ضحكاتها المزيفةِ كلَ هذهِ السنينَ وادعائها بالسعادةِ بينهمْ كانتْ هنالكَ حقيقةٌ واحدةٌ وهيَ وقوعُ قلبها بحبِ تلكَ العيونِ التي ألفتها قبلَ الجميعِ، منْ قبلُ إدراكها بأنْ بإمكانها أنْ تحبَ، منذُ تلكَ اللحظةِ لمْ يدخلْ قلبها أحد سوى عامرٍ ولمْ يشغلْ ذاكرتها سواهُ، تسألَ نفسها عنهُ على الرغمِ منْ الأذى الذي حلَ بها وكيفَ ستستطيعُ انتشالَ هذا الحبِ الجارفِ منْ جوفها.

ليسَ بالأمرِ السهلِ أنْ يبدأَ الإنسانُ منْ الصفرِ وكيفَ يتوقفُ تدفقَ الأفكارِ الغريبةِ التي تهاجمُ المجروحَ الذي يكاد أن يبدأَ حياتهُ في الغربةِ، هربتْ منْ إيجادِ أجوبةٍ منطقيةٍ لهذهِ الأسئلةِ لتستغرقَ في نومٍ عميقٍ، كانتْ تحتاجُ لأنْ تنتصرَ على عقاربِ الساعةِ قبلَ أنْ تندمَ على ما ينتظرها منْ مسؤولياتٍ في اليومِ الذي يليهُ.

في اليومِ التالي استيقظتْ وتهيأتْ للذهابِ إلى عملها، ارتدتْ زياً أسوداً رسمياً ورفعتْ شعرها بتسريحةٍ ناعمةٍ لتبدوَ في غايةِ الأناقةِ والجديةِ عندَ
أولِ لقاءٍ، دخلتْ مبكرةً، كانَ بانتظارها رئيسَ التحريرِ الذي رحبَ بها بشدةٍ وأبدى عنْ إعجابهِ بها ككاتبةٍ تمتلكُ رؤيةً مختلفةً، فالمهمُ في عالمِ الكتابةِ هوَ البصمةُ المختلفةُ التي تتركُ أثرا لا تطمسُ هويتهُ ثمَ أخذها في جولةٍ لتتعرفَ على زمائلها ومكتبها، تجولتُ بنشوةِ حبِ العملِ الذي لطالما انتظرتهُ واستقرتْ في غرفتها على مكتبها لتبدأَ رحلتها الجديدةَ.

كانَ مكتبها مميزاً بديكورٍ عصريٍ وأناقةٍ رفيعةِ المستوى، بدأتْ صباحها برفقةِ فنجانِ قهوةٍ وأنغامِ فيروزْ

" :شطّ إسكندرية يا شط الهوى
رحنا إسكندريةُ ورمانا الهوى

يا دنيا هنية وليالي رضية
أحملها بعينيا شط إسكندرية"

فيروزْ الأيقونةَ اللبنانيةَ صاحبةً ألطفَ حنجرةً هيَ الوحيدةُ التي يسمعها أبناءُ الوطنِ العربي صباحاً وكأنها أنشودةُ وطنٍ واحدٍ، والتي تعشقُ شغفَ الغناءِ لها، فكانتْ دائما ما تشاركها الغناءَ دونَ إدراكٍ منها، كانتْ تدندنُ برفقةِ فيروزْ فدخلَ رئيسُ التحريرِ بعدَ

أنْ سمعها وقالَ لها" :صوتكَ جميلٌ جدا هلْ تدركينَ هذا."
فردتْ " :أشكركُ !أحبُ الغناءُ منذُ صغري "

قالَ" :يا لكِ منْ مدهشةٍ علينا باستثمارِ جميعِ مواهبكَ لنْ أنسى هذا الموضوعِ لكنني الآنَ أحتاجُ منكَ التركيزُ على الكتابةِ، وسنذهبُ في رحلةٍ إلى إسكندريةَ في يومٍ قادمٍ لنْ أنسى هذا أيضا!

ابتسمتْ بسعادةٍ و قالت" :أشكرك مجدداً أنت لطيف جداً و أعدك أن أكون عند حسن ظنك دائماً."

استمرتْ في عملها لساعاتٍ طويلة حتى كادتْ تنسى ما حلَّ بها في الأيام السابقة، و كأن عملها جاء بلسماً يطبطبُ على جروحها لتبدأ في الالتئام و تسلكَ دربَ الشفاء الذي لطالما تمنتْ أن تشعر بهِ، أعجبها اهتمامُ زملائها بها و احتضانهم لها في ظلِ لطفِ الأجواء في العمل، شعرتْ أنها في ملاذٍ آمن و كأنها بدأتْ تخطو في اتجاهٍ صائب، و بعد انهماكها في العمل لساعاتٍ طويلة خرجت إلى المشي و التعرف قليلاً على المكان الذي بدأتْ تألفهُ و تحتاجُ إلى استكشافه، ابتاعتْ بعض حاجيات المنزل و تناولت طبقاً من" الكُشري "الطبق المصري اللذيذ ثم عادتْ بعد نزهتها الجميلة إلى المنزلِ لترتاحَ من ازدحام يومها قليلاً، و أثناء انغماسها بنفسها فاجأتها رسالة على الانترنت من عامر كُتِب بها:

" عزيزتي أنني أبحثُ عنكِ في كلِ مكانٍ و لا أستطيعُ الوصولَ إليكِ، أين أنتِ، لماذا لم تعطيني الحق في تبريرِ الموقف، أليس للحظاتِ الجميلةِ عليكِ حق، أرجوكِ أن نلتقي أحتاجُ أن أشرح لكِ
"

ردت عليه" :عزيزي أنتَ أيها الغريب، كل شيءٍ تغيرَ بعد إدراكي لحقيقتكَ و لم أعد أعرفك أنا حقاً لا أعرفك فمن أنتْ !

و بالمناسبة كيفَ يعقلُ أن تقارنَ شعورَ النارِ بالماء، أو الشمعةِ بالمُشاهد الذي يترقبها و هية تحترق، ربما لم تلاحظ أن هذه الشمعة التي تحترقُ لأجلكَ، في النهاية إما ستنتهي و تنطفئ و إما ستحرقك و تترك ندوباً لن تفارقكَ، ستحاول أن تبحثَ عن ضوءٍ جديدٍ لكنْ دون جدوى".

بهذهِ العباراتِ القاسية ردتْ على عامرٍ الذي لم تنتظرْ منهُ تبريراً على أفعاله، فلم يعد الكلام يغير شيئاً، و ليسَ بإمكانها أن تحملَ ذنبَ مريضةٍ مسكينةٍ
تزوجتْ من رجلٍ لا يعرفُ الرحمةْ، رغمَ ألمها و حبها المستعصي الذي خبئته في داخلها فبعض الأشياء يجبُ أن تدفنْ، لأن ظهورها قد يؤدي إلى تدميرنا، هذهِ القصص التي لا نخبر بها أحداً و كأنه كُتب لها أن تُعاش في سراب بداخل قوقعة النسيان، تلك المشاعرُ التي تهوي بأصحابها و الأفضلُ لها أن تختبئ بصدورهم إلى الأبد .

لكنْ أصعبُ مافي الأمر هو أن يبقى المرء صامداً، يواصلُ مهامه اليومية وهو يتألمْ، يبتسمُ لجميعُ الناس وفي قلبهِ سنين من البكاء، يساعدُ الجميع رغمَ أنهُ يرغب في الهروب والانعزال عن العالم، يستند عليه الكثيرون و هو هشٌ محطم تماماً، ويدفعهم للأمل بينما يغرقُ في حزنهِ وتعاسته..
ويستمر بمواصلة حياته رغمًا عن تعبه ومأساته ..و

حين يجربُ الأعترافَ بـالتعب أو يتكأ للحظة ما قبل الانهيار، ينصتُ لصوتٍ بداخله ينبههُ" إياكَ أنْ تتعب، نحنُ لا نملك رفاهية الأنهيار."

حاولتْ الهروبَ و الابتعادَ عن التفكيرِ الذي ينهشُ قلبها، و جلستْ لتوضيب أغراضها أثناء استماعها لبعض الأغاني القديمة التي آنست وحشتها، أعدّت لنفسها كوباً من الشاي و جربت الاسترخاءَ دونَ الشعور بأي شيء، كانتْ تدعو الله أن تصاب بلعنةِ النسيانِ إلى الأبد، أن تتوقف هذه الذاكرة عن استحضارِ الحبِ الذي فقدته و الوحدة المرهقة و كم هو مؤسف أن تبحثَ عن الحبِ طيلة حياتك و حينَ تجدهُ يضيع منك مجدداً و يأخذُ منكَ ما تبقى من أملٍ و فتاتِ قلب.

كلُ هذهِ المشاعر ثقيلة على إنسانٍ يعاني و يتكأ على وحدتهِ، و لا يملكُ سوى خيار الاستمرارَ في طريقهِ الشاق و إعادة بناء نفسهِ دون الاكتراث لأنينِ جراحهِ، لكنها لا تريدُ أن تهوي مجدداً و أن يطاردها

الفشلُ في معركةٍ تحدت الجميع لأجلها، لهذا اختارتْ أن تهتمَ بعملها و مسحتْ آثار دموعها التي تنهمرُ بتدفقٍ، كانتْ تحاول أن تدّعي القوة إلا أنْ تعيشها.

لجأت للكتابة فكتبت في مدونتها الشخصية:
"لطالما كنتُ محاربةً شجاعة، واجهتُ ما لا تقدرُ قبيلة على تحملهُ لوحدي، تألمتُ حتى الرمقِ الأخيرِ دون أن أصدرُ صوتاً، كان داخلي يتآكل مع كل ألم جديد، تذوقت مرارة الخذلان و المرض المضني و الظلم بينما كنتُ أبتسمْ في وجوههم، كنتُ أحاولُ أن أحجبَ الحقيقةَ عن محيطي لأنني أمقت الشفقة و الاستعطاف، لا بأسَ مهما حصل فأنا قوية و محالٌ أن يهزمني شيء."

هي تشتاق وتلوع لكنها تدرك أن بعض الأشياء يجب أن تدفن، لأن ظهورها قد يؤدي إلى تدميرنا، وأن قصتها هي من القصص التي لا نخبر بها أحدا وكأنه كتب لها أن تُعاش في سراب بداخل قوقعة النسيان، وتلك المشاعر الجارفة التي تهوي بأصحابها من الأفضل لها أن تختبئ بصدورهم إلى الأبد.

مضت عدة أيام وهي تحاول النسيان عامر ورسائله التي لا تنتهي، حاولت تجنب الرد عليه مجدداً بعد رسالةٍ أخيرة أرسلها لها:

قال دوستوفيسكي حين اعتصر قلبه شوقاً لحبيبته" :لو انتزعوا قلبي من صدري لكان ذلك أهون علي من بعدك عني"، وأنا أكاد أموت لشدة حسرتي عليكِ، شغفي بكِ لا ينتهي يا شغف.

واستمرت بحالٍ متعب وهي تحترق بنار شوقها لعامر وتنغمس في عملها الذي تحبه لتتجاوزه، كم هو شاقٌّ طريق النسيان، إنه أشد الطرق وعورةً وحزناً، كيف للإنسان أن يتخلى عن جزءٍ من روحه ويمضي بعيداً، كيف له أن ينسى من كان يتخذه بيتاً وأماناً، الأصعب من الشوق هو كتمانه والتظاهر بالقسوة، لقد ظنت بأن عامر عوضها الجميل عن جميع الأيام الصعبة ولم تتخيل بأنه سيترك أكبر ندباً في قلبها،ولم ينجها حبه أبداً فحين حاولتْ النهوض غرقت أكثر فأكثر، وكلما حاولت أن تفهم لماذا من يحب بكل جوارحه يخسر تعثرت مجدداً.

ربما الحياة هي المذنبة، في ذاكَ اليوم تتذكرُ تفاصيلَ
ما جرى وكأنهُ مسلسلٌ تتالتْ أحداثه ببطيء يؤلم الممثل إلى حدِّ الانهيار، كلُ شيءٍ قابلٌ للنسيان حتى السعادة، أما الألم فهو الذي يترك ندوبًا في القلب نتفحصها بين حين وآخر، لنشعر بأننا مازلنا بخير، الغربة والوداع، الضياع منذ ذلك اليوم ما زال يؤلمها، تلك الندوب التي تربطها به وتعود إليها في كل مكان، وكأنها فسحة الأمل الوحيدة لرؤية طيفه مجدداً.

كتبت في مذكراتها عنه" :أحدثُ عنكَ الجميع، منذ الفجر عندما أعبر وحيدة بانتظار أن ألمح طيفك، أمضي لأشارك همي برفقة من يعدُّ قهوتي فأخبره كم أشتاقُ لكَ، ثم أذهب لرؤية أصدقائي، أحدثهم كم أنني أحبك أسرد التفاصيل منذ البداية فينشغلون عني، أذهبُ للمسرح فأغير النص و أنثر الحبَ به، أغني لك و أتخيلك بطلَ حكايتي أرى وجوه جميع العابرين في الطرقات في هيئة وجهكَ الذي لم ألمحهْ لسنين، أذهبُ لطبيبي النفسي فيخبرني بمرضي بك، ثم أعود لمنزلي أعانق صوركَ و أنام."

حاولتْ أن تتجاهل مشاعرها واشتياقها ففي نهاية قصة حب، تحتضن وحدتك، تجري الأحداث وأنت تنظر إليها من بعيد وكأنك تشاهد فيلماً لم تشارك به، تحاول أن تكون بطلاً لكن الحياة لا تعطيك مجالاً سوى أن تعود وحيداً مجدداً.

يتدرب الإنسان على النسيان، تروضه الحياة على الاستمرار دون الالتفات ويتعلم الاستمرار في طريقه دون أن يلتفت، وأنه لا جدوى في بعض المواقف أن تحاول ترميمها وإعادة تقييمها، فالمحظوظ هو من يتمتع بنعمة النسيان ويمضي قدماً ليطرق أبواباً مختلفة ويخلق لنفسه أملاً جديداً بعيداً عن خيبات الماضي وبعد ذلك يصبح الانسان ممتناً للأوقات القاسية التي ظنها هلاكاً، وفي الحقيقة هي كانت دروساً مجانية لإكتشاف صلابته والإبتعاد عن كل شخص كان يعتقد بأنه نجاة واتضح بأنه طيف من
شعاع وهمي يبهت ثم يختفي للأبد.
وبعد شهورٍ من الاستمرار في المحاولة استمرت في النجاح بعملها ونجحت في تجاوز أزمتها العاطفية.

كان حملها ثقيلاً لدرجة البكاء على وسادتها من فرط وحدتها كل ليلة، وفقدان الأمل في الاستمرار، كانت تدعو الله في صلاتها أن يختفي هذا الألم وأن تعود لقوتها، مارست التأمل والامتنان لما تملك وحاولت أن تشفي روحها بالموسيقى والأغاني والمسلسلات الطويلة والأفلام التي لا تنتهي، تذوقت أصناف الطعام المتنوعة اللذيذة، تعلمت العزف وقرأت الكثير من الكتب، وكان نجاحها في عملها حافزاً للوقوف بقوة والانتصار على آلامها وذكرياتها السابقة.

نهضت بصرامة وإصرارٍ على الاستمرار، وبدأت بالبحث عن طريقة جديدة للتخطي، عملت بجهدٍ و ثبات، وسلكت طرقاً جديدة في رحلتها للبحث عن السعادة التي كانت تظن بأنها قد فقدتها منذ زمنٍ بعيد، لقد تعلمتْ المضي في طريقها دون أن تلتفت، وأنه لا جدوى في بعض المواقف أن تحاول ترميمها وإعادة تقييمها، فالمحظوظ هو من يتمتع بنعمة النسيان ويمضي قدماً ليطرق أبواباً مختلفة ويخلق لنفسه أملاً جديداً بعيداً عن خيارات الماضي.
تصاعدت وتيرة أعمالها ونشر لها عدة مقالات متنوعة وحققت نجاحاً في كونها مديرة تحرير مسؤولة

وكاتبة، شعرت بالفخر لاثبات ذاتها بعد انكسارها واستجمعت شتات روحها لتجد مؤخراً طريقة لتشعل الشغف بداخلها بعد انطفائها، العمل هو الحل والملجأ الوحيد، الفن هو الشيء الثابت الذي لا يتخلى عنها ويساندها، تعلمت واستمرت في حياتها على نحو مستقر ووتيرة ثابتة.

حلّ فضل الشتاء الذي تفضله عن بقية الفصول،
لأنها تشعر أنه فصل الحنين وكل شيء فيه له طعمٌ مختلف، في الشتاء تنتهي جميع الآلام، وفي إحدى الليالي الباردةٍ، أعدت لنفسها كوباً من القهوة وجلست بجانب المدفئة ثم كتبت على مدونتها الشخصية" :أن تفهمني هذا شيء غريب بل هو أقرب للمستحيل، لست قريبة من الوضوح ولا الغموض، سعادتي خاطفة تأتي وتذهب في لمح البصر، أبكي ثم أبتسم، أعيش ألف حالة في بضعة لحظات، أنتقل من قمة اليأس إلى أقصى النشوة، أحب الفن وكأنه فارس أحلامي، لا أتحدث سوى مع قلمي أثناء كتابتي، لا أعرف سوى القليل من الأصدقاء الأوفياء الذين يشبهون طباعي المثيرة للدهشة، أحب الحب والخير والسلام، أمقت النزاعات، أشعر بأن الحياة أبسط من الكراهية والحقد والغضب فأخرج من حياتي كل من يتسبب بألمي دون وجه حق، أؤمن بالحق والعدل ولا أمانع بأن أنال عقوبتي على أي شي سيء أرتكبه، قلبي سماء صافية لا يحمل سوى الخير للجميع مهما فعلوا، طفولية، تلقائية، ساذجة في بعض الأوقات لشدة ما أملك من عواطف قد تبدو غبية لكنني أراها نبيلة لأنني مهما تاذيت أحافظ على مبدأ التسامح والنسيان، أميل للهدوء والعزلة رغم أنني من أكثر الناس اجتماعيةومحبة، أعيش الإنطواء لأنني لا أشعر بالأمان سوى برفقة القليل جداً من الأشخاص الذين أتأكد من محبتهم و اخلاصهم لي، أحب الحب و الحب عندي قضية حياة قد أموت من أجله، لن ترى امرأة عاشقة عمياء بقدري، أتغاضى و أنسى و أتحمل و لا أعرف الأذى، بل و إنني مدافعة شرسة عن جميع من أحب، و أضعهم في مقام رفيع ثم أجعل منهم قضية أحارب لأجلها طيلة عمري، يقتلني الخذلان و يحولني لمكتئبة منطفئة لا تطاق، أملك من القوة ما لا يمكنك تخيله لكنني استخدمها للخير فقط، تحولت من شخصية تسترد حقوقها إلى شخصية لم تعد تهتم أن تسمع الانتقالات و وجدت في هذا راحة لي، لم أعد أكترث لتعليقاتهم السلبية ولا لأفعالهم، يكفيني أن أعرفهم و أن يبتعدوا لاكون بخير و سلام.

هي تشتاق و تتلوع لكنها تدرك أن بعض الأشياء يجب أن تدفن، لأن ظهورها قد يؤدي إلى تدميرنا، و أن قصتها هي من القصص التي لا نخبر بها أحد و
كأنه كتب لها أن تُعاش في سراب بداخل قوقعة النسيان، و تلك المشاعر الجارفة التي تهوي بأصحابها من الأفضل لها أن تختبئ بصدورهم إلى الأبد.

مضت عدة أيام و هي تحاول النسيان عامر و رسائله التي لا تنتهي، حاولت تجنب الرد عليه مجدداً بعد

رسالةٍ أخيرة أرسلها لها :

قال دوستوفيسكي حين اعتصر قلبه شوقاً لحبيبته" :لو انتزعوا قلبي من صدري لكان ذلك أهون علي من بعدك عني"، و أنا أكاد أموت لشدة حسرتي عليكِ، شغفي بكِ لا ينتهي يا شغف.

و استمرت بحالٍ متعب و هي تحترق بنار شوقها لعامر و تنغمس في عملها الذي تحبه لتتجاوزه، كم هو شاقٌ طريق النسيان، إنه أشد الطرق وعورةً و حزناً، كيف للإنسان أن يتخلى عن جزءٍ من روحه و يمضي بعيداً، كيف له أن ينسى من كان يتخذه بيتاً و أماناً، الأصعب من الشوق هو كتمانه و التظاهر

بالقسوة، لقد ظنت بأن عامر عوضها الجميل عن جميع الأيام الصعبة و لم تتخيل بأنه سيترك أكبر ندب في قلبها، و لم ينجيها حبه أبداً فحين حاولتْ النهوض غرقت أكثر فأكثر، و كلما حاولت أن تفهم لماذا من يحب بكل جوارحه يخسر تعثرت مجدداً.

ربما الحياة هي المذنبة، في ذاك اليوم تتذكر تفاصيل ما جرى و كأنه مسلسل تتالى أحداثه ببطئ يؤلم الممثل إلى حد الانهيار، كل شيء قابل للنسيان حتى السعادة، أما الألم فهو الذي يترك ندوبًا في القلب نتفحصها بين حين و آخر، لنشعر بأننا مازلنا بخير، الغربة و الوداع، الضياع منذ ذلك اليوم مازال يؤلمها، تلك الندوب التي تربطها به و تعود إليها في كل مكان، و كأنها فسحة الأمل الوحيدة لرؤية طيفه مجدداً.

كتبت في مذكراتها ذات يوم:

"أحدّث عنك الجميع، في أول الفجر عندما أعبر وحيدة بانتظار أن ألمح طيفك، أذهب لأشارك من يعد لي قهوتي همي فأخبره كم أشتاق لك، أنني لم أقصد أن أقول لك إذهب، و هل يعقل أن يطلب المرء من روحه أن تخرج منه، يضجر مني فأذهب لأصدقائي أحدثهم كم أنني أحبك أسرد التفاصيل منذ البداية فينشغلون عني، أذهب للمسرح فأغير النص و أجعلك بطل ما أكتب مجدداً، أغني لك و أتخيل جميع الممثلين أنت و جميع العابرين في الطرقات يرتدون وجهك الذي لم ألمحه لسنين، أذهب لطبيبي النفسي فيخبرني بمرضي بك، ربما لا أحد يعلم غيرك بأنك أنت الدواء الوحيد لي".

حاولتْ أن تتجاهل مشاعرها واشتياقها ففي نهاية قصة حب، تحتضن وحدتك، تجري الأحداث وأنت تنظر إليها من بعيد وكأنك تشاهد فيلماً لم تشارك به، تحاول أن تكون بطلاً لكن الحياة لا تعطيك مجالاً سوى أن تعود وحيداً مجدداً.

يتدربُ الإنسان على النسيان، تروضهُ الحياة على
الاستمرار دون الالتفات ويتعلم الاستمرار في طريقه دون أن يلتفت، وأنه لا جدوى في بعض المواقف أن تحاول ترميمها وإعادة تقييمها، فالمحظوظ هو من يتمتع بنعمة النسيان ويمضي قدماً ليطرق أبواباً مختلفة ويخلق لنفسه أملاً جديداً بعيداً عن خيبات الماضي وبعد ذلك يصبح الإنسان ممتناً للأوقات القاسية التي ظنها هلاكاً، وفي الحقيقة هي كانت دروساً مجانية لاكتشاف صلابته والابتعاد عن كل شخص كان يعتقد بأنه نجاة واتضح بأنه طيف من شعاع وهمي يبهت ثم يختفي للأبد .

وبعد شهورٍ من الاستمرار في المحاولة استمرت في النجاح بعملها ونجحت في تجاوز أزمتها العاطفية، كان حملها ثقيلاً لدرجة البكاء على وسادتها من فرط وحدتها كل ليلة، وفقدان الأمل في الاستمرار، كانت تدعو الله في صلاتها أن يختفي هذا الألم وأن تعود لقوتها، مارست التأمل والامتنان لما تملك وحاولت أن تشفي روحها بالموسيقى والأغاني والمسلسلات الطويلة والأفلام التي لا تنتهي، تذوقت أصنافَ الطعامِ المتنوعة اللذيذة، تعلمت العزفَ وقرأت الكثير من الكتب، وكان نجاحها في عملها حافزاً للوقوف بقوة والانتصار على آلامها وذكرياتها السابقة.

نهضت بصرامة وإصرارٍ على الاستمرار، وبدأت بالبحث عن طريقة جديدة للتخطي، عملت بجهدٍ و ثبات، وسلكت طرقاً جديدة في رحلتها للبحث عن السعادة التي كانت تظن بأنها قد فقدتها منذ زمنٍ بعيد، لقد تعلمتْ المضي في طريقها دون أن تلتفت، وأنه لا جدوى في بعض المواقف أن تحاول ترميمها وإعادة تقييمها، فالمحظوظْ هو من يتمتع بنعمة النسيان ويمضي قدماً ليطرقَ أبواباً مختلفة ويخلق لنفسه أملاً جديداً بعيداً عن خيارات الماضي.

مضت الأيامْ تصاعدتْ وتيرة أعمالها ونشر لها عدةُ مقالاتٍ متنوعة وحققت نجاحاً في كونها مديرة تحريرٍ مسؤولة وكاتبة، شعرت بالفخرِ لإثبات ذاتها بعد انكسارها واستجمعت شتات روحها لتجد مؤخراً طريقة لتشعل الشغف بداخلها بعد انطفائها، العمل هو الحل والملجأ الوحيد، الفن هو الشيءُ الثابتُ الذي لا يتخلى عنها ويساندها، تعلمتْ واستمرت في حياتها على نحو مستقر و وتيرةٍ ثابتة.

حلّ فضل الشتاء الذي تفضلهُ عن بقية الفصول، لأنها تشعرُ أنهُ فصل الحنين وكل شيء فيه له طعمٌ مختلف، في الشتاء تنتهي جميع الآلام

وفي إحدى الليالي اَلْبَارِدَة، أعدت لنفسها كوباً من القهوة وجلست بجانب المدفئة ثم كتبتْ على مدونتها الشخصية:
"إن تفهمني هذا شيئا غريبا بل هو أقرب مرادفاتْ للمستحيل، لست قريبة من الوضوح ولا الغموض، سعادتي خاطفة تأتي وتذهب في لمح البصر، أبكي ثم أبتسم، أعيش ألف حالة في بضع لحظات، أنتقلُ من قمة اليأس إلى أقصى النشوة، أحبُ الفن وكأنه فارس أحلامي، لا أتحدثُ سوى مع قلمي أثناء كتابتي، أحبُّ الحب والخيرَ والسلام، أمقتُ النزاعات، أشعر بأن الحياة أبسط من الكراهية والحقد والغضب فأُخرجُ من حياتي كل من يتسبب بألمي دون وجهِ حق، أؤمن بالحق والعدل ولا أمانعُ بأنْ أنالَ عقوبتي على أي شيء شيء أرتكبه، قلبي سماءٌ صافية لا يحملُ سوى الخير للجميع مهما فعلوا، طفولية، تلقائية، ساذجة في بعض الأوقات لشدة ما أملك من عواطفٍ قد تبدو غبية لكنني أراها نبيلة لأنني مهما
تعرضت للأذى أحافظُ على مبدأ التسامح والنسيان، أميل للهدوء والعزلة رغم أنني من أكثر الناس اجتماعية ومحبة، أعيشُ الانطواء لأنني لا أشعر بالأمان سوى برفقة القليل جداً من الأشخاص الذين أتأكد من محبتهم وإخلاصهم لي، الحبُّ عندي قضية حياة قد أموتُ من أجله، لن ترى امرأة عاشقة عمياء بقدري، أتغاضى وأنسى وأتحملُ ولا أعرف الأذى، بل وإنني مدافعة شرسة عن جميع من أحبْ، وأضعهم في مقام رفيع ثم أجعل منهم قضيةً أحاربُ لأجلها طيلة عمري لكن خذلاني صعب، فحين يعبث بي الحبْ أقتلهُ بداخلي وأنساه، يتعبني الخذلان ويحولني لمكتئبة منطفئة لا تطاق، أملكُ من القوةِ ما لا يمكنكَ تصورهُ لكنني أستخدمها للخير فقط، تحولت من شخصية تسترد حقوقها إلى شخصيةٍ لم تعدْ تهتم أن تسمع الانتقالات و وجدتُ في هذا راحة لي، لم أعدْ أكترث لتعليقات سلبية، يكفيني أن يبتعدْ عني كل من يؤذيني لأكونَ بخيرٍ وسلامٍ، رغمَ أنني أشعر بالغربةِ حيثُ لا بيت ولا وطن، لا حبيبٌ ولا ملجأ، أحاول أن أكون بخير بمفردي، يرافقني الفنُ لوحده، أحمل قلماً وعوداً وصوتي يملأ المكان بصداه، أنسج الصوفَ لأرتديه، أشرب قهوتي برفقة برنامج الصباح، تؤنسني كتبٍ كثيرة أخوض رحلةً عميقة برفقة مؤليفيهم في كل مرة، أحبُّ الشتاءَ وأنعمُ بجانبِ المدفأة، أحب آخر الليل وأولَ الفجر، أستمتعُ بالأفلام والمسلسلات، أكررْ ما أفضلُّ منهم دون ملل، هكذا أنا لا أتعب من الشغف ولا أكف عن الحب، أدعوالله أن ينجيني من الأذى، أتذكر الماضي فابتسم لسخرية القدر، لشدةِ تبعثر الحياة، أضحكُ حتى آخر رمق فبيني وبين الحياة اتفاقٌ لا شيء يهزمني على الإطلاق" .

ثم استلقت قليلاً برقتها المعتادة وكانت تقلب بين إعلانات صفحة الفيسبوك فشاهدت شيئاً أثار دهشتها، كان إعلاناً لتدريب المواهب الشابة على التمثيل والغناء، فشعرت وكأنها إشارة للغوصِ في مغامرة جديدة، فسارعت للتواصل والبحث عن تفاصيل التدريب، ثم رتبت جدولاً لأعمالها الجديدة،

فقررت أن تذهب للعمل يومياً كالمعتاد ثم تذهب للتدرب على المقامات الموسيقية والمشاهد التمثيلية لتعيش أخيراً حُلمها المهجور على خشبة المسرح.

مضت شهورٌ على تدريبها المتواصل دون أن تشعرَ بملل أو استسلام، جاهدت في التدرب وكافحت في نسيان ماضيها المؤلم، تعلمتْ الصرامة وتجاهل مشاعرها الغريبة اتجاه الحب الذي خذلها، تفوقت على نفسها وأثبتتْ أنها جديرة بأن تلمعَ في سماءِ الفن، ونالت إعجاب كبار المخرجين بعد عروضٍ مسرحيةٍ وغنائيةٍ متتالية، لفتت الأنظار بموهبة فريدة اجتمعت في نجمةٍ استثنائية الحس، وبدأت في اتخاذ خطوات حقيقية نحو النجومية التي لطالما حلمت بها.

تركتْ الصحيفة التي عملت بها لتكرّس حياتها للفن وكانت حياتها المهنية تتألق باستمرار ما بين الغناء والتمثيل والكتابة والنجاح المثير الذي حققته، عاشتْ حُلمها الذي طال انتظاره، وكسبت احترام وتقدير جميع من حولها حتى أولئك الذين حاربوها وحاربوا الفن، الفنُ الذي لا يحملُ سوى السلام والمحبة، الفنُ الذي يصنعُ السعادة التي نفتقدها في
أوقاتنا الصعبة، الفن الذي يشّكلُ رسالةً للقلوب التائهة، شعرتْ بلذةِ النصر أخيراً بعد سنواتٍ عجاف، وبعد كل تلك الخيبات، وكانت محالة بمعجبين كثر، وقدم لها الكثير من الرجال عروض حبٍّ مغرية، حاولت أن تعطي لقلبها فرصة ليشعر مجدداً لكن الحب لم يعد شهياً كما كان، لقد تشوهَ داخلها بعددِ الخيبات التي حلتْ به، لم يكن عامر السببَ الوحيدَ لهروبها من الحب، بل التراكماتِ الكثيرة، الركض الطويل وراء الأحلامِ والكفاحِ في الحياة القاسية التي فاقت قدرتها على التحمل، فالجميع يتحدثُ عن الوصول ولا أحد يخبرك عن مشاق الدرب وكمْ كان الطريق وعراً، لا أحد يتحدث عن الخيبات التي تسبقُ الانتصارات، ويا للأسف الحياة لا تعطيك كل شيء وكمْ نود أن نعيش الحب الذي يجعلنا نشعر بدفئه ويمنحُ قلوبنا نشوةَ الطائر الذي يخرج من القفص راقصاً ممتناً لتحرره من قيود الحزن في هذا العالم التعيس.

ولا بأس في هذا فكان يكفيها أنها قوية فحين ينضج فكر
الإنسان تتضح له معانٍ مختلفة للقوة فالقدرة على الاستمرار بثبات هي قوة.

البدءُ من جديدٍ بعد مئات الخيبات هو قوة،
الرد على أذى الآخرين بالعمل على إثبات الذات هو قوة، في الحقيقة القوة هي الاستمرار بِالثَّبَاتِ إلى أن تصبح صلباً مهما بلغت شدة الأعاصير من حولك.

فالأيامُ تربيكَ على الصبرْ أثناء عبورك في محطاتِ حياتكِ المختلفة، تتأمل الطريق الذي ظننته مستحيلاً ثم اجتزته بعزيمةٍ، تنظرُ لنفسك باستغراب كيف غيرتك رحلتك ولم تعد تشبهُ نفسك، تتعلمُ المثابرة وتنسى الاستسلام، تقف على قدمكَ التي تؤلمكَ وتستمرُ في النهوض مجدداً بعد كل تعثر.

تمت.